

تيسير السيرة

على صاحبها أزكى الصلوة وأتم السَّلام



تيسير السيرة

على صاحبها أزكى الصلوة وأتم السّلام

تأليف

د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي

ح) خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٨٩٧٥
ردمك: ١-١٠٥٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].



الإهداء

إلى كلِّ محبِّ لرسول الله ﷺ، مؤمنٍ برسائته، ثم إلى كلِّ مُنْصِفٍ، مُعْجَبٍ بشخصه الكريم، ولمَّا يؤمن برسائته بعد، بل إلى كلِّ مُضَلٍِّ أَغْفَلَ قَلْبَهُ، وَأَهْمَلَ عَقْلَهُ.

إليهم جميعًا أهدي كتابي هذا؛ راجيًا للمؤمن المزيد، وللمُنْصِفِ الإيمان، وللمضللِّ سبيلَ هداية.

د/ خالد بن عبدالرحمن الجريسي

المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى خيراً خلقه محمّداً، وأرسله رحمةً للعالمين،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده
ورسوله، صلوات ربّي وسلامه عليه، وعلى آله، وأزواجه، وصحبه،
ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد، فإن الفكر الإنسانيّ - بعد البعثة النبويّة - لم يحفل بسيرة
إنسان كما حفل بسيرة رسول الإسلام محمّد بن عبدالله ﷺ، ثم إنك
لو طالعت سيرة أيّ علم، لوجدت فيها قصوراً؛ قليلاً كان أو كثيراً،
بالمقابل، فإنك تجد في سيرة النبيّ محمّد ﷺ وضوحاً تاماً مفصّلاً
في شتى مراحل حياته، مع توثيق دقيق لها.

هذا، والمشهود أن دينه ﷺ ما زال في ظهور، على قلّة في
الإمكانات، وتقصير في الدعوة إليه!

فما السّرُّ يا ترى؟ إنه - بلا ريب - شخص رسول الله ﷺ؛ مجمع
الفضائل الإنسانية، وتمام العظمة البشرية، وهو مع ذلك التفرّد في
شخصه الكريم قد أتحف العالم بكتاب مُنزلٍ من عند ربّه، محفوظٍ
بحفظه: القرآن العظيم، مالى الدنيا وشاغل الناس.

كلُّ ذلك، ومحمّدٌ ﷺ نبيُّ أمّي، عاش بين ظهرائي أمّةٍ لا ذكّر لها
يُعرف بين حضارات العالم آنذاك!

بعدها، أليس بدهياً أن تحفل البشرية بسيرة إنسانٍ هذا شأنه؟ بلى، لكن أولى الناس بالاحتفاء بالسيرة النبوية أمة الإسلام، مع ذلك فإنك ترى العجب في حال عامة المسلمين؛ فهم لا يزال بعضهم يجهل كثيراً من معالم شخصية نبيه ﷺ، بل قد ترى أحدهم لا يدري تسلسلاً لأحداث السيرة، بل لا معرفة له بأبسط مسلماتها!

ولقد تأملت في مرد ذلك، فرأيتُه راجعاً إلى أمرين؛ أولهما: اعتبار أحدهم تعلم السيرة من نافلة العلم؛ إن جهلها فلا بأس، وإن علمها فالعلم بها أفضل! والآخر: إعراضه عن مطالعة السيرة، لكثرة المصنّفات المفصّلات غير الموثّقات فيها.

هذا، وقد اطّلت - اطلاعاً يسيراً - على بعض كتب السيرة، فرأيت أغلبها سرداً مفصّلاً لأحداثها، فإن لم تكن كذلك، فإنك تراها مختصة بجانب متعلق بها؛ أو تجد بعضها يُتبع سرد الوقائع بعبرٍ وعظات، تُنسي - في كثير من الأحيان بتفصيلها - الواقعة نفسها!

وقد رأيت والحال هذه، أن أجمع لأمة النبي ﷺ، ما يكون طريقاً يسيراً قريب المنال، يعرف المسلم بما يلزم من سيرة رسوله ﷺ، كما يوجه نظر غير المسلمين إلى عظمة محمد ﷺ، وعظيم نفعه للإنسانية جمعاء، وقد سميت كتابي هذا «تيسير السيرة»، وجعلته على بابين رئيسين:

الأول: السيرة النبوية الخاصة.

والثاني: السيرة النبوية العامة.

هذا، وقد حرصت فيه على أمور:

- تحريّ الثابت من النصوص.
 - اعتماد المشتهر من مرويات أهل السيرة.
 - شرح غريب الألفاظ أثناء ذكر الروايات.
 - التخرّيج المباشر المختصر للروايات عقب ذكرها، مع العزو المجمل للمنقول إلى مصدره أو مرجعه، ثم تأخير تفصيل البيانات إلى آخر الكتاب.
 - إدراج فوائد ومسائل وتنبهات وإضاءات دعوية.
 - جعل الأعمال الجهادية في جداول مختصة، وذلك بغية اختصارها.
- هذا، وإني أتضرّع إلى الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه العظيم، وأن يكتبه عنده خدمةً متواضعةً لنبيّه الكريم ﷺ، إن ربّي قريب مجيب.

د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي

٨ ربيع الأول ١٤٣٦هـ

الباب الأول

السيرة النبوية الخاصة

سيحوي هذا الباب فصلين:

الأول : بيان بعض أحوال النبي ﷺ الشخصية.

الثاني: بيان بعض دلائل نبوته ﷺ، وخصائصه، وحقوقه.



الفصل الأول

بيان بعض أحوال النبي ﷺ الشخصية

يحتوي هذا الفصل سبعة عشر مبحثاً، نشرع حالاً في تفصيلها:

١- من أسماء النبي ﷺ: هو: محمّد، وأحمد، والمأحي، والحاشر،
والعاقب، والمقفي، ونبيّ التوبة، ونبيّ الرحمة، ونبيّ الملحمة ﷺ.

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمُبَشِّرًا
رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: ٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن لي أسماء، أنا محمّد، وأنا أحمد،
وأنا المأحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس
على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبيّ» [متفق عليه]. وزاد
"مسلم": «والمقفي، ونبيّ التوبة، ونبيّ الرحمة، ونبيّ الملحمة».
ومعنى المقفي: الذي قفّا من قبله من الرسل، وجاء بعدهم جميعاً،
والمرحمة: الرحمة، والملحمة: الحرب.

٢- كنيته ﷺ: هو أبو القاسم عليه الصلاة والسلام؛ كان النبي ﷺ في
السوق - ومرة في البقيع (مقبرة أهل المدينة) - فقال رجل: يا أبا
القاسم، فالتفت النبي ﷺ ثم قال: «سمّوا باسمي، ولا تكْتنوا
بكنيتي» [متفق عليه].

ومعناها: أنه ﷺ يقسم بين الناس نصيبهم في مال الصدقات؛ كما
صحّ ذلك في الحديث: «أنا قاسم؛ أضع حيث أمرت» [البخاري].

٣- من أوصافه ﷺ:

- النبي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].
- الرسول النبي الأمي؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
- رسول الله؛ قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].
- رسول مبين؛ قال تعالى: ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾ [الدخان: ١٣].
- نذير مبين؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٤٩﴾ [الحج: ٤٩].
- شاهد، مبشّر (بشير)، نذير (منذر)، داع إلى الله، سراج منير؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].
- بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].
- رحمة للعالمين؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
- عبدالله؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ﴿١٩﴾ [الحج: ١٩].
- الصادق، المصدق، المصدق؛ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ

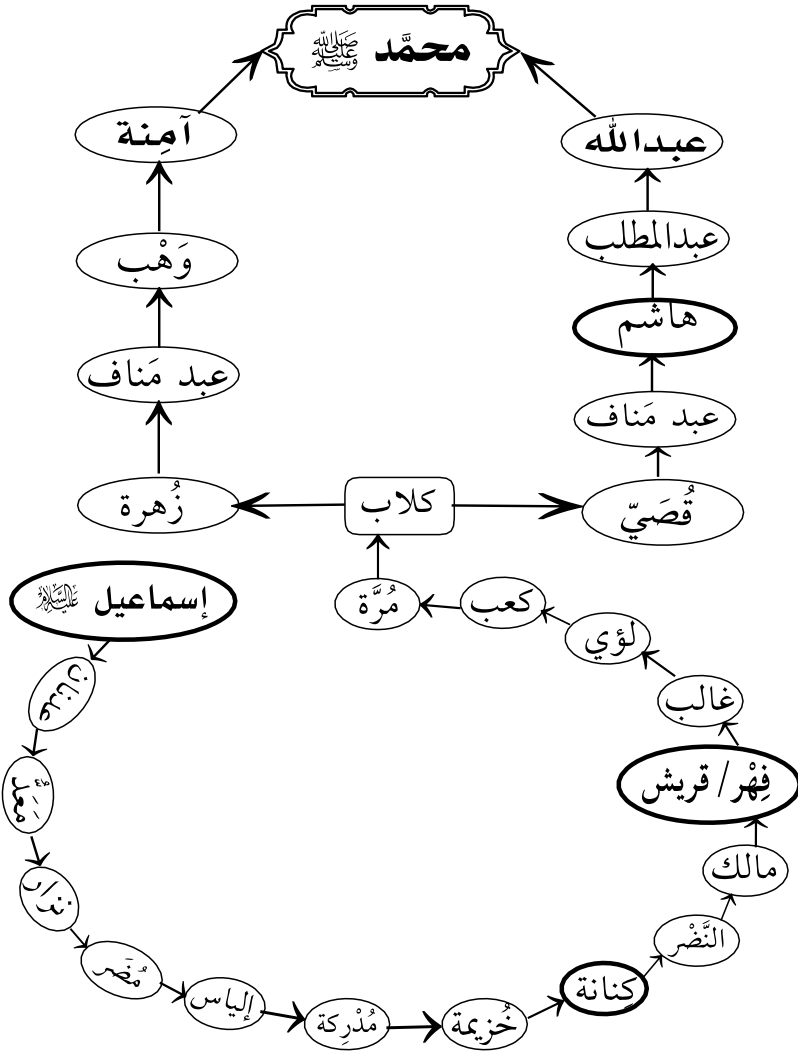
- وَصَدَّقَ بِهِ ﷺ [الزمر: ٣٣]، وقال جلَّ شأنه: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ
الرُّءْيَا بِالْحَقِّ ﷺ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ
عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﷺ﴾ [البقرة: ١٠١].
- المزمِّل؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﷻ﴾ [المزمل: ١].
- المذثِّر؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَذْثِرُ ﷻ﴾ [المدثر: ١].
- أوَّل المسلمين؛ قال تعالى: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﷻ﴾
[الأنعام: ١٦٣].
- خاتم النبيين؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن
رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﷺ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال ﷺ: «أنا خاتم
النبيين» [متفق عليه].
- المصطفى (المختار)؛ قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد
إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني
هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [مسلم].
- مولى المؤمنين؛ قال عليه الصلاة والسلام: «ما من مؤمن إلا وأنا
أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ
مِنْ أَنفُسِهِمْ ﷺ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ فأَيُّما مؤمن مات وترك مالا فهو لورثته،
ومن ترك ديناً أو ضياعاً - أي: عيالاً - فليأتني، فأنا مولاه» [متفق عليه].
- المتوكل، حرزُ الأميين؛ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: والله إنه
لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﷻ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزاً للأميين،
أنت عبدي ورسولي، سميتك: المتوكل [البخاري].

٤- نسبه ﷺ؛ كما ذكره جمع، منهم البخاري رحمه الله: هو سيّد ولدِ آدمَ أبو القاسم مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

هذا هو النسب الصحيح الذي لا شك فيه، وما بعد ذلك من عدنان إلى إسماعيل عليه السلام، فقد أمسك عن ذكره أهل الحديث، وكذلك عامّة أهل السيرة.

هذا نسبه ﷺ من جهة أبيه، أما أمّه؛ فهي: آمنَةُ بنتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ . . . إلى عدنان، ومنه إلى إسماعيل عليه السلام. وأنت تلحظ أن الجدّ الثالث له ﷺ - كلاب بن مُرَّةَ - من جهة أبيه، هو نفسه والد جدّه الثاني من جهة أمّه ﷺ.





قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [مسلم].

٥- أعمام النبي ﷺ، وعمّاته؛ أما أعمامه ﷺ فأحد عشر: الحارث، وقثم، ومعناه: الكريم، أو الجامع للخير، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، واسمه عبد مناف، وأبو لهب، واسمه عبد العزّي، والمقوم، وحجل، وضرار، والغيداق، ولُقّب بالغيداق لكثرة إغداقه الخير على المحتاجين.

وأما عمّاته ﷺ، فسّت: صفية، وعاتكة، وأروى، وأميمة، وبرّة، وأمّ حكيم، واسمها البيضاء.

فائدة: أسلم من أعمامه اثنان: حمزة والعباس ﷺ، ومن عمّاته واحدة: صفية رضي الله عنها.

٦- أخوال النبي ﷺ؛ وهما اثنان: الأسود بن وهب، وعبد يغوث ابن وهب.

٧- مُرضعات النبي ﷺ؛ وهما اثنتان: ثويبة الأسلمية، وحليمة السعدية، وعند الأخيرة «شق صدره ﷺ وملى حكمة وإيماناً بعد أن استخرج حظ الشيطان منه» [مسلم].

ويذكر هنا أن ممن أرضعتهم حليلة السعدية أيضاً: ولدها عبدالله بن الحارث، وابنتها جدامة.

وممن أرضعتهم ثويبة الأسلمية: مسروح ابنها، وحمزة عم النبي ﷺ، وقد رضع قبل رسول الله ﷺ بأربع سنوات، وكذلك أرضعت ثويبة أبا سلمة المخزومي رضي الله عنه.

عليه؛ فإن كلاً من عبدالله بن الحارث، ومسروح، وحمزة، وأبي سلمة، يعتبر أخواً للنبي ﷺ من الرضاعة، كما أن جدامة بنت الحارث تعتبر أختاً له ﷺ من الرضاعة.

٨- أزواج النبي ﷺ:

◆ أول من تزوج النبي ﷺ خديجة - أم القاسم - بنت خويلد رضي الله عنها، وكانت امرأة ثيباً أرملة لها ابن وابنتان؛ فقد كان تزوجها - وهي بكر - عتيق بن عائذ المخزومي، ولها منه ابنة، فلما مات تزوجها أبو هالة النباش بن زرارة التميمي، ولها منه ابن وابنة، فلما مات الأخير تزوجها رسول الله ﷺ، وذلك قبل مبعثه، وقد كان سنه عليه الصلاة والسلام آنذاك خمساً وعشرين، في حين كان عمرها أربعين، ومكث ﷺ معها ستاً وعشرين سنة، وقد أنجبت للنبي ﷺ أولاده جميعاً، ما عدا إبراهيم رضي الله عنه، فهو من مارية القبطية.

وقد توفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين، عن خمس وستين سنة.

◆ ثم تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها، وذلك بمكة بعد وفاة خديجة، وقبل العقد على عائشة رضي الله عنها عنهن، وكانت سودة قد أسلمت قديماً، وهي أرملة السكران بن عمرو، وهو من المؤمنين الأولين، وممن هاجر إلى الحبشة، تزوجها رسول الله ﷺ وقد بلغت الخامسة والخمسين، فهي أكبر سنّاً منه عليه الصلاة والسلام، فلما كبرت عنده ﷺ، أراد طلاقها، فابتغت رضا رسول الله ﷺ بالبقاء زوجاً له، ثم «وهبت يومها لعائشة، فأمسكها عليه الصلاة والسلام، وصار يقسم لفسادها، ويقسم لعائشة يومها ويوم سودة» [متفق عليه].

توفيت سودة رضي الله عنها في خلافة معاوية رضي الله عنه، سنة أربع وخمسين للهجرة [طبقات ابن سعد].

◆ ثم عقد النبي ﷺ على عائشة الصديقة ابنة الصديق أبي بكر رضي الله عنهما، وذلك بمكة سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث سنين، وعمرها آنذاك ست سنين، ثم دخل بها بالمدينة - في السنة الأولى من الهجرة - وهي بنت تسع، وكانت مدة مقامها مع النبي ﷺ تسع سنين؛ حيث توفي عليه الصلاة والسلام ولها ثماني عشرة سنة، وكانت أحب نساءه ﷺ إليه، ولم يتزوج بكراً غيرها. تكنى أم عبدالله؛ بابن أختها أسماء رضي الله عنها: عبدالله بن الزبير رضي الله عنه؛ وكانت فقيهة، عالمة، مكثرة من رواية الحديث عن النبي ﷺ. توفيت بالمدينة سنة ثمان وخمسين، ولها من العمر ست وستون سنة، ودفنت في البقيع.

◆ ثم تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، وهي أرملة شهيد بدر: أنيس - أو حنيس - بن حذافة السهمي رضي الله عنه، وكانت ممن أسلم وهاجر، وتزوجها عليه الصلاة والسلام سنة ثلاث من الهجرة، وكان ﷺ في الخامسة والخمسين.

توفيت رضي الله عنها عام فتح أفريقية - الثاني - في خلافة معاوية رضي الله عنه، في شعبان سنة خمس وأربعين، وهي ابنة ستين سنة [الإصابة لابن حجر].

◆ ثم تزوج عليه الصلاة والسلام سنة ثلاث أيضاً - وقيل أربع - من الهجرة زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها، وكانت تسمى أم المساكين - لكثرة إطعامها المساكين - تزوجها ﷺ بعد استشهاد زوجها عبدالله بن جحش رضي الله عنه في غزوة أحد، ولبثت عند النبي ﷺ زمناً يسيراً؛ شهرين أو ثلاثة، ثم توفيت، ودفنت في البقيع رضي الله عنها.

◆ ثم تزوج ﷺ في شوال من السنة الرابعة للهجرة أم سلمة رضي الله عنها، وهي: هند بنت أبي أمية المخزومية، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند أبي سلمة - عبدالله بن عبد الأسد - وقد كانا أول مهاجرين إلى أرض الحبشة، ولها من عبدالله: سلمة، وعمر، ودره، وزينب، وقد ضم رسول الله ﷺ أيتامها إليه، وشملهم بعنايته.

توفيت عن أربع وثمانين سنة، سنة اثنتين وستين، ودُفنت في البقيع رضي الله عنها، وهي آخر أزواجه ﷺ موتاً.

◆ ثم زوج الله رسوله عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش بن رثاب الأسديّة رضي الله عنها، وهي ابنة عمته أميمة، وقد كانت قبل ذلك عند مولى النبي ﷺ زيد بن حارثة، وكان عليه الصلاة والسلام قد أنعم على زيد فأعتقه، ثم زوجه بابنة عمته، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها، ثم فارقتها، فلما انقضت عدتها، أوحى الله إلى نبيه ﷺ أن يتزوجها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فكانت رضي الله عنها تفخر على سائر أزواج النبي ﷺ، فتقول: (زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات) [البخاري].

توفيت رضي الله عنها عام فتح مصر، سنة عشرين، ودفنت في البقيع، وهي أول من مات من أزواج النبي ﷺ بعده.

فائدة: قد كان لهذا التزويج العظيم كبير شأن عند الناس؛ حيث قضى الإسلام بذلك على تلك الفوارق الاجتماعية، التي طالما اعتز بها العرب، كما أنهى به بدعة «التبني» التي كانت منتشرة في أوساطهم.

◆ ثم تزوج صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق، وهي رضي الله عنها أرملة مسافع بن صفوان المصطلق، وكان زوجها هذا من أشد أعداء الإسلام، ومن أكثرهم خصومة للرسول صلى الله عليه وسلم !!

أما خبر زواج النبي بها؛ فإنه لما كانت غزوة بني المصطلق (المريسيع) - في شعبان من السنة الخامسة - سببت جويرية، وصارت عند ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه، وكانت امرأة ملاحه (جميلة)، فعرض عليها ثابت أن تكاتبه ليعتقها، فجاءت النبي تستعينه في أداء ذلك المال عنها، فقال عليه الصلاة والسلام: «أخير من ذلك؟ أؤدي عنك وأتزوجك»، قالت: نعم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: «قد فعلت». [أبو داود، وصححه ابن حبان]، وكان ذلك سنة ست للهجرة، وتوفيت رضي الله عنها سنة ست وخمسين.

◆ تزوج عليه الصلاة والسلام بعدها أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان، وكانت قبل ذلك عند عبيد الله بن جحش، ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم أميمة، وقد ولدت رملة لعبيد الله حبيبة بأرض الحبشة في الهجرة الثانية، فلما مات عنها زوجها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطبها عليه، فزوجها النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأصدقها عنه - أي: دفع لها مهراً - أربعمائة دينار، وولي تزويجها من أهلها ابن خالها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه فجاءه بها إلى المدينة [أبو داود، والترمذي، وصححه الحاكم في "مستدركه"، ووافقه الذهبي]، وكان ذلك في السنة السادسة، ودخل بها عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من خيبر سنة سبع للهجرة، وقد توفيت رضي الله عنها بالمدينة، سنة أربع وأربعين.

◆ ثم تزوج ﷺ صفية بنت حبي بن أخطب، وهو سيد بني النضير، وهي من سلالة نبي الله هارون بن عمران ؑ، وكانت قبل ذلك متزوجة من كنانة بن أبي الحقيق - الشاعر - وقد قُتل يوم خيبر، وسُبيت ﷺ، فاصطفاها رسول الله ﷺ، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها، وجعل عتقها صدقاً لها [متفق عليه]، وصدقها: مهرها، وتزوجها ﷺ بعد فتح خيبر أو آخر المحرم سنة سبع من الهجرة، توفيت سنة خمسين في زمن معاوية، ودُفنت بالبقيع.

فائدة في تلطف رسول الله ﷺ بها:

ثبت أنه عليه الصلاة والسلام، أحاط زوجته صفية بعباءته - يسترها؛ لما وقعت من على جمل لها - ثم جلس عند بعير له، ووضع ركبته، ثم وضعت صفية رجلها على ركبته حتى تركب! [متفق عليه]؛ يساعدها في ركوب الدابة؛ حيث إنها ﷺ لم تكن طويلة القامة. فهنيئاً للنساء بما علمنا رسول الله من لياقة وتلطف في التعامل معهن، وهل سيبلغ أهل الغرب معشار ذلك، أو أدنى؟!!

◆ ثم كان آخر أزواجه عليه الصلاة والسلام ميمونة بنت الحارث الهلالية - وهي خالة كل من خالد بن الوليد وعبدالله بن عباس ؑ - وكان زواجه ﷺ بها في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة، بعد أن حلَّ عليه الصلاة والسلام من العمرة (عمرة القضاء)، ودخل بها بمنطقة سرف قريباً من مكة، وقد توفيت هناك سنة إحدى وخمسين، عن اثنتين وستين عاماً، وكانت مدة مقامها مع النبي ﷺ ثلاثة أعوام ونيفاً ﷺ.

فهؤلاء هنَّ أمّهات المؤمنين أزواجُ النبي ﷺ اللاتي دخل بهن، وقد توفيت اثنتان منهن في حياته عليه الصلاة والسلام: خديجة، وزينب بنت خزيمة رضي الله عنها، وتوفّي عليه الصلاة والسلام عن التسع المتبقيات، لا خلاف في ذلك بين أهل العلم.

وقد كان للنبي ﷺ سوى هؤلاء النسوة سراري (إماء يأتينهم بمُلك اليمين)؛ إحداهن مارية بنت شمعون القبطية أهداها إليه المقوقس صاحب الإسكندرية في جملة ما أهداه إليه، فاخصّصها النبي ﷺ لنفسه، وقد ولدت له إبراهيم رضي الله عنه، وتوفيت سنة ستة عشر من الهجرة، في خلافة عمر رضي الله عنه، ودفنت في البقيع. والسُرّية الأخرى: ريحانة بنت زيد القُرظيّة، وهي من يهود بني النضير، وقد وقعت في غزوة بني قريظة في السبايا، سنة خمس من الهجرة، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، وقد توفيت بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في آخر السنة العاشرة، ودفنت في البقيع.

فائدة: تزوّج عليه الصلاة والسلام نسوة لم يدخل بهن، لذا فهنَّ لا يُحتسبن في أمّهات المؤمنين، أذكر منهن - مثلاً لا حصراً - : شراف أخت دحية الكلبي رضي الله عنه، وفاطمة بنت الضحّاك، وأمّ شريك الأنصارية، وعمرة بنت يزيد، والمتعوّذة: أميمة بنت النعمان التميمية التي لما دخل عليها صلى الله عليه وسلم، قالت: أعود بالله منك!! فقال: «منع الله عائده، إحققي بأهلك»، كما خطب صلى الله عليه وسلم نسوة، أذكر منهن: جُمرة بنت الحارث، فتعدّر أبوها عن القبول بأن بها برصاً، ولم يكن بها شيء، فلما رجع أبوها إليها وجدها برصاء حقاً!

تنبيه: ما رواه بعض أهل السّير من مفارقة النبي ﷺ لفاطمة بنت الضحّاك، حين نزلت آية التخيير - من سورة الأحزاب - وأنها اختارت

الدنيا، هو منكر لا أصل له، كما نبّه عليه العلامة الأشعر اليماني في "شرح البهجة"، ويؤيد ذلك ما ذكره البغوي في "معالم التنزيل"، وغيره من المفسرين من أنه لم يكن في عصمته ﷺ يوم نزول آية التخيير سوى نسائه اللاتي مات عنهن.

٩- أولاد النبي ﷺ، رضي الله عنهم وعنهن: للنبي ﷺ سبع من الأولاد؛ ثلاثة أبناء، وأربع بنات.

أما ذكور أولاده ﷺ، فهم:

- القاسم ﷺ؛ وهو أول مولود له عليه الصلاة والسلام، وُلد قبل النبوة بمكة، وبه يُكنى ﷺ، وعاش ﷺ حتى مشى، ثم توفي وهو ابن سنتين.

عبدالله ﷺ؛ وهو الملقب بالطيب وبالطاهر، وقد وُلد ﷺ بعد النبوة بمكة، وتوفي صغيراً بها.

إبراهيم ﷺ؛ وهو من سُرّيته مارية القبطية - كما تقدّم ذكره - وقد وُلد في جمادى الأولى سنة تسع للهجرة، في المدينة النبوية، وتوفي في التاسع والعشرين من شوال، سنة عشر، وهو رضيع، ابن ثمانية عشر شهراً.

وأما الإناث من أولاده ﷺ، فهن أربع:

- زينب ﷺ؛ وهي أكبر بناته ﷺ، وُلدت بمكة - بعد أخيها القاسم - سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ، قبل النبوة بعشر سنين، تزوّجها أبو العاص بن الربيع، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، فولدت له علياً - وقد مات صغيراً - وأمامة، وقد توفيت زينب ﷺ في أوائل سنة ثمان بالمدينة.

- رُقِيَّةُ رضي الله عنها، وقد تزوّجها عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فولدت له عبد الله، وتوفي صغيراً قد بلغ السادسة، وكانت رُقِيَّةُ قبل زواجها بعثمان عند عتبة بن أبي لهب، وقد ألزم أبو لهب وامرأته ولدهما عتبة هذا أن يفارق زوجته، ففعل، ولم يكن قد دخل بها بعد، وقد توفيت رضي الله عنها في رمضان السنة الثانية من الهجرة، بعد غزوة بدر الكبرى مباشرة.
- أمّ كلثوم رضي الله عنها؛ وقد تزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من بدر لعثمان أيضاً، بعد وفاة أختها رُقِيَّةَ، ولم تلد لعثمان شيئاً، وكانت قبل ذلك عند عُتَيبة بن أبي لهب - أخي عتبة سالف الذكر - الذي فارقها أيضاً بإشارة من أبويه، وقد توفيت رضي الله عنها في شعبان سنة تسع من الهجرة.

فائدة: يلقب أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بذي النورين، لكون النبي صلى الله عليه وسلم زوجه اثنتين من بناته: رُقِيَّةَ وأمّ كلثوم رضي الله عنها، ومعنى كلثوم: كثير لحم الخدين والوجه.

- فاطمة رضي الله عنها؛ وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم، وأحبّهن إليه، وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني» [متفق عليه]، وهي - كما ثبت عند الشيخين - سيدة نساء أهل الجنة، وقد تزوّجها عليٌّ رضي الله عنه، في السنة الثانية من الهجرة، فولدت له ثلاثة أبناء؛ هم: حسن، وحسين، ومحسن، وثلاث بنات؛ هن: رُقِيَّةُ، وزينب، وأمّ كلثوم رضي الله عنها، أجمعين.

هذا، وقد توفي جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، إلا فاطمة رضي الله عنها، فقد توفيت بعده صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، ولم يكن له عليه الصلاة والسلام عقب إلا منها.

١٠- من اشتهر من موالي النبي ﷺ (الرجال):

- زيد بن حارثة، وهو الملقب بحب رسول الله ﷺ.
- ابنه أسامة بن زيد، وكان يقال له: حب رسول الله ﷺ وابن حبه.
- ثوبان بن بُجْدِدٍ، وكنيته: أبو عبدالله.
- أبو كبشة، واسمه سُليْم.
- سُقران، واسمه صالح.
- أبو رافع، واسمه إبراهيم.
- أبو مُؤَيْهَبَةَ.
- أبو ضَمْرَةَ، واسمه سعد.
- سَفِينَةُ، وهذا لقب لقَّبه به رسول الله ﷺ، واسمه رياح.
- أبو لُبَابَةَ، زيد بن عبد المنذر.

١١- من اشتهر من موالي النبي ﷺ (النساء):

- أمُّ رافع، واسمها سلمى، وهي امرأة أبي رافع، إبراهيم، متقدِّم الذكر.
- أمُّ أيمن الحبشية؛ حاضنة النبي ﷺ، واسمها بركة بنت ثعلبة، وهي زوج زيد بن حارثة، وأمُّ ولده أسامة.
- مارية بنت شمعون القبطية، وقد تقدَّم أنها من هدية المقوقس، وأن النبي ﷺ اختصَّها لنفسه، وهي أمُّ ولده إبراهيم رضي عنه.
- ريحانة بنت زيد القرظية، وهي من سبايا غزوة بني قريظة، كما تقدَّم أيضًا، وقد اتخذها عليه الصلاة والسلام من سراريه.

١٢- بعض خدم النبي ﷺ من الأحرار.

- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري رضي الله عنه.
- عبدالله بن مسعود، وكان مختصاً، بحمل نعلي النبي ﷺ وسواكه، وظهره (الماء للوضوء).
- عقبة بن عامر الجهني، وكان مختصاً بقيادة بغلة النبي ﷺ في الأسفار.
- بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله ﷺ.

١٣- من اشتهر من حرس النبي ﷺ.

- سعد بن معاذ، حرسه يوم بدر، حين نام ﷺ بالعريش.
- ذكوان بن عبد قيس، ومحمد بن مسلمة، حرساه ﷺ يوم أحد.
- الزبير بن العوام، حرسه ﷺ يوم الخندق.
- عبّاد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب: خالد بن زيد الأنصاري، حرسوه ﷺ بخير.
- بلال بن رباح (المؤذن)، حرسه ﷺ بوادي القرى.

فائدة: اتخذ عليه الصلاة والسلام حرساً، قبل نزول قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فلما نزلت الآية ترك ﷺ الحرس. [الترمذي، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي].

١٤- من كتاب النبي ﷺ.

- الخلفاء الأربعة؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.
- أبي بن كعب (أبو المنذر).

- عبدالله بن الأرقم .
 - عامر بن فهيرة .
 - ثابت بن قيس بن شماس .
 - خالد بن سعيد بن العاص .
 - حنظلة بن ربيع الأسدي ، ولقبه : حنظلة الكاتب .
 - زيد بن ثابت ؛ وهو أَحَصُّ الكتبة ، لذلك كلفه عثمان فيما بعدُ بجمع القرآن الكريم .
 - معاوية بن أبي سفيان .
 - شُرْحَيْلُ بْنُ حَسَنَةَ ؛ وحسنه اسمُ أمّه ، واسمُ أبيه عبدالله الكِندي .
- ١٥- رُسلُ النبي ﷺ؛ دعاة إلى الإسلام .
- عمرو بن أمية الضمريُّ ، أرسله إلى النجاشي ملك الحبشة .
 - دحية بن خليفة الكلبيُّ ، بعثه إلى هرقل ملك الروم .
 - عبدالله بن حذافة السهميُّ إلى كسرى ملك فارس .
 - حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر .
 - عمرو بن العاص ، بعثه إلى ملكي عُمان : جيفر وعبدِ ابني الجندى .
 - سليط بن عمرو العامريُّ ، بعثه إلى صاحب اليمامة : هُوذة بن عليٍّ .
 - شجاع بن وهبِ الأسديُّ ، إلى الحارث الغساني ملك البلقاء من أرض الشام .
 - المهاجر بن أبي أمية المخزوميُّ ، إلى الحارث الحميريِّ ، أحد مَقاولة اليمن ، أي : ملوكهم .

- العلاء بن الحضرمي، إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى.
- أبو موسى الأشعري، بعثه إلى اليمن داعية.
- معاذ بن جبل، بعثه إلى اليمن داعية أيضاً.
- ١٦- بعض مركوب النبي ﷺ، ولباسه، وأثائه، وأدواته، وسلاحه.
- أ- المركوب؛ كان للنبي ﷺ عشرة من الخيل، اشتهر منها:
 - السَّكْبُ، وهو أول فرس تملكه ﷺ، والسكب معناه: كثير الجري.
 - السَّبْحَةُ، وسُمِّي سبحة لحسن مدِّ يديه في الجري.
 - البحر؛ وقد كان لأبي طلحة رضي الله عنه في المدينة، وكان فرساً يُبَطِّأ - سيره بطيء - وقد فزع أهل المدينة مرة، فسارع عليه الصلاة والسلام لاستطلاع الأمر، فلما رجع، قال: «لم تُراعوا، لم تُراعوا، ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحراً» [متفق عليه]. أي: ليس ثمة خطر عليكم، أما الفرس فهو في غاية السرعة في جريه، بخلاف ما تصفونه!
- وكان له عليه الصلاة والسلام ثلاثة من البغال:
 - الدُّدْلُ الشهباء التي أهداها له المقوقس، وهي أول بغلة رُكبت في الإسلام.
 - والبيضاء، أو الأَيْلِيَّةُ، وهي التي أهداها له ملك أَيْلَةَ (القدس).
 - وَفِصَّةُ، وهبها له أبو بكر رضي الله عنه.

ومن ركائبه ﷺ من الإبل: ناقَةٌ اسمها: القُصواء، وهي التي هاجر عليها، وأخرى اسمها: الجَدعاء، وكانت سريعة لا تكاد تُسَبَقُ.

ب- اللباس؛ من لبسه عليه الصلاة والسلام:

ثوباً حَبْرَةً، وإزارٌ عُمَانِيٌّ، وثوبانٌ صُحَارِيَّان، وقميصٌ صُحَارِيٌّ، وآخر سُحُولِيٌّ، وجُبَّةٌ يَمَانِيَّة، وخميصة، وقطيفة، وكساء أبيض، وآخر أسود، وثلاث أو أربع قلانسٍ صغارًا لاطئة، وحُقَّان ساذجان، وعمامة يُقال لها: السَّحَاب؛ أهداها لعليِّ ﷺ، وله أيضًا ثوبان مخصَّصان ليوم الجمعة، غير ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام.

توضيح لغريب المفردات:

- (الحَبْرَة): كساء من قطن أو كتان، مخطَّط، كان يُصنع باليمن.
- (صُحَارِيَّان): نسبة إلى صُحار؛ بلدة باليمن.
- (سُحُولِيًّا): نسبة إلى سَحول؛ بلدة باليمن أيضًا.
- (خميصة): كساء أسود مربَّع له علامات.
- (قطيفة): دثارٌ مُخَمَّل، أي: له هُدْبٌ؛ وهو أقلُّ جودة من الخميصة.
- (القلنسوة اللاطئة): هي الطاقية التي تُلصَقُ بالرأس.
- (حُقَّان ساذجان): الخفُّ الساذج ما لم يخالط سواده لونًا آخر، ولا نقش فيه.

ومن اللباس أيضًا: مِنْطَقَةٌ من أديم مبشور؛ أي: حزام يُشدُّ به الوسط من جلد أملس قد نُزِعَ عنه الشعر أو الوبر، ولها إِنْزِيمٌ فَصَّةٌ، أي: حلقة معدنية في أحد طرفيها لسان توصل بالحزام، لغرض تثبيته.

- ج- من أثاث النبي ﷺ وأدواته .
- فراش من أدم (جلد)، حشوه من ليف، وملحفة موروثة (مصبوغة بالورس والزعفران).
 - ربعة (سلة صغيرة مغطاة بالجلد)، فيها مرآة، ومشط عاج، ومكحلة، ومقراض (آلة لقص الأظافر) يسمى الجاح، وسواك.
 - قدحان؛ أحدهما مضرب بفضة (موصول بسلسلة من فضة في ثلاثة مواضع، لكونه كسير، فأمر ﷺ بوصله)، والآخر: قدح زجاج.
 - وتور (قدور) من حجارة، أو نحاس يتوضأ منه.
 - مخضب (وعاء لغسل الثياب) من شبه (أي: من نحاس أحمر)، يعمل فيه الحناء والكتم (وهو نبت جبلي)، وكان يضع من ذلك على رأسه ﷺ إذا وجد فيه حرارة.
 - معتسل من صفر (إناء من نحاس مخصص لماء الاغتسال).
 - قصعة (وعاء للطعام أو الشراب).
 - صاع (مكيال قدر ما يسعه ٢٧٠٠ غم تقريباً)، يخرج به زكاة الفطر.
 - مد (مكيال أيضاً، وهو يساوي ربع الصاع، أي: ٦٧٥ غم تقريباً).
 - مكحلة، إن شاء اكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين.
 - خاتم من فضة، نقشه: الله رسول محمد.
 - سلة (وعاء) يتطيب منها.
- د- من سلاحه ﷺ:
- تسعة أسياف، أشهرها "ذوالفقار"، وهو من غنائم غزوة بدر، و"البتار"، و"القضيب"، وهذا الأخير هو أول سيف تقلد به ﷺ في الإسلام.

- أربعة رماح، أشهرها: "المُنثني".
 - أربعة قسيٍّ، أشهرها قوس "الصفراء".
 - تُرس عليه تمثال عُقابٍ، (من أنواع الطيور الجارحة) أُهدي له ﷺ، فوضع يده على العقاب، فذهب أثره [مصنّف ابن أبي شيبة].
 - ثلاثة دروع؛ أشهرها: "ذات الفضول"؛ لبسها يوم بدر وحنين.
 - مِغْفَرٌ (ما يُلبس تحت القبعة في الحرب، ليحمي الرأس من الضربات)، يُقال له: السَّبُوغُ؛ لبسه ﷺ يوم فتح مكة.
- ملحوظة: قد ذكرنا ما تقدّم بهذا التفصيل لمن أحبّ أن يتوسّع في معرفة ذلك.



الفصل الثاني

بيان بعض دلائل نبوته ﷺ، وخصائصه، وحقوقه

تمهيد: سنتعرض في هذا الفصل لمباحث في دلائل النبوة، وذلك بذكر نماذج من المبشرات به ﷺ في التوراة والإنجيل، وأخرى من الشمائل النبوية في تمام الخلق وكريم الأخلاق، ثم نورد بعضاً من المعجزات وخوارق العادات والنبوءات، إضافة إلى ذكر نموذجين من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ثم نُبَع ذلك كله ببعض الخصائص النبوية، لنختم بعدها بذكر بعض حقوقه صلوات ربّي وسلامه عليه.

أ- بعض دلائل نبوته ﷺ.

١- المبشرات في الكتب السابقة؛ ومنها:

النص الأول - من التوراة - : (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أحاسبه) [سفر التثنية ١٨ : ١٥-٢٠].

هذه بشارة مهمة، وقد ترقّب حصولها أجيال المؤمنين من أهل الكتاب، وهي تتحدث عن نبيّ عظيم، يكون في عظمته مثل موسى ﷺ، ويكون من إخوة بني إسرائيل، أي: من ذرية إسماعيل ﷺ، وليس من ولد إسحاق ﷺ، ومن هو إن لم يكن رسول الله محمد ﷺ؟!

وقد جاء في هذه البشارة (أجعل كلامي في فمه)؛ وتلك إشارة واضحة إلى أن ذلك النبي المبشّر به يكون أمياً، حافظاً للوحي، وهي صفة نبينا ﷺ ﴿وَمَا يَطُقُ عَنِ أَلْوَىٰ (٣)﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ [النجم: ٣-٤]

النص الثاني - من التوراة أيضاً - (وقال: جاء الربُّ من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران، معه ألوف الأطهار) [سفر التثنية ٣٣: ١٧-٢١].

المقصود: رسالة موسى، ومن ثمَّ عيسى ﷺ، ثم الاستعلان بإنزال القرآن في مكة، وهي المعبر عنها بجبل فاران؛ ويبين ذلك ما جاء في سفر التكوين - حكاية عن حال إسماعيل عليه السلام - (وكان الله معه، ونما وسكن في البرية، وصار شاباً يرمي بالسهام، وسكن برية فاران) [سفر التكوين: ٢١: ٢٠-٢١].

النص الثالث - من الإنجيل - (لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي) [إنجيل يوحنا ١٦: ٧].
كلمة (المعزي) هنا أو المخفف، كما في بعض النسخ، هي كلمة معربة - خطأ - عن كلمة بيريكليت (Periclyte) اليونانية؛ وهي تعني - في ترجمتها الصحيحة -: كثير الحمد، فهو (أحمد) أو (محمد) عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصّف: ٦]. [شرح النصوص الثلاثة آفة الذكر مستفاد من "تباشير الإنجيل والتوراة" د. نصر الله أبو طالب].

٢- ومن دلائل نبوته ﷺ: شمائله في تمام الخلق وكريم الخلق.

أولاً: تمام الخلق النبويّ الظاهر.

نذكر هنا - إن شاء الله - وصفاً متكاملًا مفصلاً لجميع تلك الصفة الكريمة - مُستَجْمَعًا من معاني نصوص ثابتة؛ وذلك بأسلوب مبسّط؛ تيسيراً على المسلم المعاصر.

كان عليه الصلاة والسلام وسيماً جميل الصورة؛ أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلامهم من قريب، ظاهر الوضوء؛ حتى كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك تلاًّلاً وجهه كالقمر ليلة البدر.

وكان متناسب الأعضاء والأطراف، حسن القد؛ ليس بنحيف ولا جسيم، معتدل القامة، وهو إلى الطول أقرب، واضح المفاصل؛ كالمرفقين والرُسْغين والرُكْبَتَيْن، ومفاصل أصابع اليدين والرجلين، ضخم اليدين والساعدين والعُضْدَيْن، منبسط الكفّين والقدمين، وكان ﷺ نقيّ بياض البشرة، بياضاً نيراً معتدلاً، لِين الملمس، وليده ملمس بارد، وريح معطر كأحسن العطر، وكان في شعره ﷺ التواءً بسيطاً، ليس شعره جعداً ولا منهدلاً، بل كان بين ذلك، وكان يسرّحه جميعاً أولاً، ثم صار يُفرّقه من وسط الرأس، وكان يطيل شعره الكثيف، حتى يصل إلى وسط أذنيه أحياناً أو إلى آخرهما، وقد يطيله أكثر حتى يصل تحت الأذنين، بل قد يبلغ أعلى كتفيه ﷺ، وقد متّعه ربّه سبحانه بسواد الشعر حتى أواخر عمره، وكان له ما مجموعه أقل من عشرين شعرة قد شابت فقط، وذلك في مقدّم رأسه الشريف، وعند شعر صدغيه وتحت

الشفة السفلى مباشرة، وكان يُرى في مَفْرِقِ شعره ﷺ أثرٌ أحمرٌ من الطيب، وكان ﷺ أجمل الناس وجهًا، وشكلٌ وجَّهٍ فيه تدوير قليل، ولون بشرة وجهه بيضاء نقية، فيها شيء من الاحمرار الخفيف عند جبهة واسعة، وكذلك عند الجبينين الرَّحْبَيْنِ - والجبين: ما يكون فوق الصُّدْغِ، عن يمين الجبهة وشمالها - وكان ﷺ أنورَ الوجه كمثل إنارة القمر ليلة اكتماله بدرًا، وإذا أتاه أمرٌ يسره ازداد وجهه نورًا، حتى صار كنور البرق في الغيوم، أو كأن الشمس تجري في وجهه، فإذا تعرَّقَ ﷺ سالت قطرات العرق على صفحات وجهه الشريف كأنها حبات لؤلؤ، مع رائحةٍ كرائحة أحسن المسك، وإذا غضب احمرَّ وجهه حتى صار لونه مثل حَبَّات الرمان إذا تَفَقَّأت.

أما عيناه ﷺ فهما آيتان في الجمال؛ قد اتسعت فتحتاهما، واستطال شقُّهما، وظهر فيهما كحل - ولو لم يكن ﷺ مكتحلًا - وكان بياضهما مختلطًا ببعض الحمرة الخفيفة، وقد اسودَّت كلُّ حَدَقَةٍ منهما اسودادًا واضحًا، يعلوهما حاجبان دقيقان قد استطالا حتى استوعبا آخر فتحتي العينين، مع زيادة يسيرة عليهما، وهما بشكل قوسين، اقترب أحدهما من الآخر، لكن بينهما فرجة نقية يسيرة لا يَتَبَيَّنُهَا إلا من دَقَّقَ النظر، أما شعر الأَجْفَانِ فقد اسودَّ واستطال، حتى يكاد يتشابك بعضه ببعض، فهل تخيلت عِظَمَ جمالِ عيني النبي ﷺ؟!!

أما في كيفية نظره ﷺ فقد كان ينظر - من عظيم تواضعه - إلى الأرض في معظم الأحيان، ولا يلتفت برأسه لينظر يمنة أو يسرة، بل كان يلتفت بجميع بدنه، وأكثر نظره - إن لم يُرِدْ أن يلتفت - كان بلحاظ العين، وهو شقُّها الذي يلي الصُّدْغِ - والصُّدْغُ: ما بين العين

والأذن - فإن أراد المخاطبة ﷺ توجه بكلية إلى من يخاطبه؛ فهو ﷺ دقيق الملاحظة لما حوله، مع كونه ﷺ خافض الطرف في معظم أحيانه .
وقد كان في أنفه عليه الصلاة والسلام صفة عظماء الرجال؛ فقد كان فيه استطالة يسيرة، مع دقة في أرنبته، واحدياب مع ارتفاع يسيرين في وسطه، يحسبه - من لم يتأمله - طويل قصبه الأنف، أو فيه استعلاء وأنفة، أو رافعاً رأسه معرضاً عن حوله، وهو - مع هذه الصورة العظيمة - في غاية التواضع ومزيد التألف لمن حوله! وقد كان ﷺ تام الأذنين جميلهما، حسن الفم عظيمه واسع من غير إفراط، والعرب - كما لا يخفى - تمدح الرجل بهذه الصفة لدلالة السعة على الفصاحة، وفي أسنانه ﷺ، رونق ظاهر؛ برقة وتحديد، وبياض، وصفاء، وإشراق فيها، مع انفراق يسير للغاية بين الثنايا العليا منها، وهي أيضاً صفة جمال باهر إذا كان الانفراق قليلاً جداً؛ فإذا تكلم ﷺ روي كالنور يخرج من بين ثناياه!!

أما اللحية، فكانت عند خدين واضحين لينين، أبيضين ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع، وكانت سوداء كثة كثيرة الشعر تملأ ما بين صدره ونحره، وكان ﷺ يسرحها، وقد تخللها - في ختام عمره ﷺ - بضع شعرات بيضاء عند أسفل الفم الشريف، وتسدل تلك اللحية الكريمة على عنق منبسط طويل، أبيض، يتلألاً كأنه إبريق فضة في صفائه .

أما الكتفان فظاهران واسعان، على صدر متسع مستوٍ مع بطنه؛ لا يعلو لحم صدره ولا بطنه بعضه على بعض، والصدر متناسب مع ظهر عريض، وله ﷺ ما بين اللبة - وهي: ما بين الترقوتين؛ فوق الصدر،

وأسفل الحلق - إلى الشَّرَّة شعر دقيق موصول، منقاد كالخط، أو كقضيبي المسك الخالص، ولم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره.

أما ظهره ﷺ، فكان واسعاً أبيض نقياً؛ كأنه سبيكة فضة.

وعلى أعلى ظهره الكريم وبين كتفيه، إلى جهة هي أقرب إلى أعلى كتفه اليسرى، خاتم النبوة، وهو قطعة لحم بارزة بيضاء تميل إلى الحمرة، تشبه جلد جسده، عليها بعض نقاط سود واسعة، وقد تراكب عليها بعض الشعر، وهي بقدر بيضة طائر الحجلة، أو بيضة الحمام.

أما الذراعان، فقد كانا عظيمين، ممتدَّين، يعلوهما شعر، والزندان - وهما: موصل طرف الذراع مع الكفين - طويلان أيضاً.

والإبطان أبيضان نقيان.

وله ﷺ كفان ضخمان، واضحا مفاصل الأصابع، وواسعا راحتين، وملمسهما ألين من الحرير، وأبرد من الثلج، وأعظم عطراً من كف عطار ملئت يده بأحسن الطيب!!

وكان عليه الصلاة والسلام قد اتخذ خاتماً فضه - أي: ما يلصق به من حوله؛ فالفض ليس من نفس الخاتم - من فضة؛ ونقشه رسول الله ﷺ، يلبسه في خنصره الأيمن، وربما جعله في الأيسر، ويجعل الختم من جهة كفه، فإذا أراد أن يختم به خلعه، وختم به بيمينه، وكان ﷺ ينزعه أيضاً إذا دخل الخلاء.

وأما الساقان؛ فمع كونهما ضخمين، إلا أن فيهما دقة باعتدال، وهما بيضاوان نقيان، لهما نور، يبرقان ويلمعان.

وكان ﷺ واسع القدمين، واضح مفاصل أصابعهما، مُرْتَفِعَ الأَحْمَصِ عن الأرض - والأخمص: ما ارتفع من أسفل القدم، فلم يلامس الأرض - فذلك الموضع من أسفل قدميه ﷺ كان شديد التجافي عن مس الأرض عند وطئها، وكان ظهر قدميه أملس ليّنًا، لا ارتفاع فيه، ولا انخفاض.

أما عَقَبَا قدميه عليه الصلاة والسلام فكانا قليلَي اللحم، وكذلك كعبا كلِّ رجلٍ.

هذا غيْضٌ من فيضِ شمائلِ نبينا ﷺ، فيما ظهر من تمام خِلقته.

تنبيه: اشتهر بيتان يُنسبان لحسان بن ثابتٍ رضي الله عنه، هما:

وأجمل منك لم تر قَطُّ عين

وأكمل منك لم تلد النساء

خُلِقْتَ مبرراً من كلِّ عيب

كأنك قد خُلِقْتَ كما تشاء

ومقتضى التحقيق أن هذين البيتين لم تثبت نسبتهما إلى حسان رضي الله عنه في أيِّ من كتب الحديث، أما معنى: كأنك خُلِقْتَ كما تشاء، أي: فيما لو أنك أردت كمالاً تاماً في خِلقَتِكَ، لم تكن تلك الخِلقَةُ التي أردتها أكمل مما أنت عليه، صلوات ربِّي وسلامه عليه.

وهذا الوصف الكامل كما هو منطبق على الجمال الظاهر، فهو منطبق كذلك على جمال الأخلاق وتمامها؛ فلننظر شيئاً من ذلك، بعون الله تعالى.

ثانيًا: تمام الخلق النبوي الطاهر.

❖ الحياء النبوي؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَجِءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِءُ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وفي الصحيح أنه لما بُني على النبي ﷺ بزینب بنت جحش رضي الله عنها، أرسل أنسًا رضي الله عنه داعيًا إلى وليمة العرس، فدعا الناس مرات، حتى لم يجد من يدعوه إلى الطعام! فقال ﷺ: «ارفعوا طعامكم»، لكن أشخاصًا ثلاثة بقوا جالسين يتحدثون مستأنسين بعد أن طعموا، وكان ﷺ شديد الحياء - بل هو أشد حياءً من العذراء في خدرها كما ثبت من صفته ﷺ في الصحيح - فكره أن يدخل فيخرجهم، فانتظر ﷺ حتى أخبر بأن الأشخاص قد خرجوا، ثم دخل حجرة عائشة، فمكث يسيرًا، ثم خرج [متفق عليه، وقد ذكرته ملخصًا بمعناه].

❖ التواضع النبوي؛ عن أنس رضي الله عنه: أن رجلًا قال لرسول الله ﷺ: يا سيِّدنا وابن سيِّدنا، وخيرنا وابن خيرنا؛ فقال ﷺ: «يا أيها الناس: قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله تعالى» [أحمد في "المسند"، وصححه الألباني في "الصحيحة"].

❖ حسن التعامل النبوي؛ قال أنس رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ في السفر والحضر، عشر سنين، فما قال لي أفٌّ، ولا قال لي لشيء صنعتُه: لِمَ صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لِمَ لم تصنع هذا هكذا؟ ولا عاب عليَّ شيئًا قطُّ [مسلم].

❖ الكرم النبوي؛ قال جابر رضي الله عنه: «ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال: لا» [متفق عليه].

وهذا الجود النبوي كان سبباً في دخول أقوام في دين الله؛ من ذلك: أن رجلاً جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عطاءً، فأعطاه غنماً بين جبلين - أي يملأ وادياً! - فرجع الرجل إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر [مسلم].

❖ الزهد النبوي؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

قال ابن كثير رحمته الله في "تفسيره": (يقول تعالى لنبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم؛ وإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور)، ثم قال ابن كثير رحمته الله بعدها: (فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهّد الناس في الدنيا مع القدرة عليها؛ إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئاً لغد).

❖ الشجاعة النبوية؛ قال تعالى: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]، قال ابن كثير في "تفسيره": (يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل - أي: تخلف - عنه، فلا عليه منه؛ ولهذا قال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]. وقال علي رضي الله عنه: (كنا إذا اشتدت الحرب وحمي البأس - أي: القتال - نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم) [أحمد في "مسنده"]، وفي "الصحيحين"، واللفظ لمسلم: «فرع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت،

فتلقّاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت! وهو يقول: «لم تُراعوا، لم تُراعوا».

❖ الصبر النبوي، والحلم؛ عن أنس رضي الله عنه: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية (ثياب صنعت في نجران، لها حوافٌ سميقة)، فأدركه أعرابيٌّ فجذبه جذبةً شديدة!! حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفتُ إليه ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء! [متفق عليه].

وعن أنس رضي الله عنه، أن أعرابياً بال في المسجد، فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه، ولا تُزرموه - أي: لا تقطعوا عليه بوله - قال أنس: فلما فرغ دعا بدلو من ماء، فصبه عليه» [متفق عليه]، وفي روايةٍ للبخاري - في آخرها - : «فإنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين».

فأيُّ حلم، وأيُّ رفق، وأيُّ تلطف، أعظم من هذا؟!

❖ الصدق النبوي؛ وقد شهد بذلك العدوُّ فضلاً عن الصديق؛ فأبو سفيان - قبل إسلامه - لما سأله هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجابه: لا، عندها ردُّ هرقل - بحصافةٍ -: ما كان ليذَر الكذب على الناس، ويكذب على الله [متفق عليه].

حتى إن مشركي قريش كانوا يعرفون هذا الخلق للنبي ﷺ، فلما صعد عليه الصلاة والسلام الصفا بمكة، واجتمع إليه الملاء، قال لهم: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغيرَ عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جرّبنا عليك إلا صدقاً» [متفق عليه].

❖ التلطف النبوي؛ كان ﷺ أطف الناس، يُدخل البهجة إلى قلب من حوله، حتى الصبيان والنساء؛ ونذكر من ذلك:

- أن أختاً صغيراً لأنس؛ يكنى بأبي عمير، كان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه، قال: «أبا عمير، ما فعل النُّعَيْرُ؟»؛ يسأله عن عصفور صغير كان يلعب به! [رواه الجماعة - أي: أصحاب الكتب الستة - إلا أبا داود].

- وقال أنس رضي الله عنه: إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنتطق به في حاجتها! [البخاري].

- وعنه أيضاً: كان للنبي ﷺ حادٍ يدعى: أنجشة، وكان يحدو بنسائه (أي: ينشد في السفر وهو يسوق الإبل وعليها النساء)، فلما انسجمت الإبل في حدائه، أَعْنَقَتْ (أي: أسرع في المشي)، فقال عليه الصلاة والسلام: «ويحك يا أنجشة، ارفق بالقوارير»؛ يشبه النساء بالقوارير، ويرفق بهنَّ [متفق عليه].

صلوات ربِّي وسلامه على مَعْدِنِ الأخلاق، وجامع الشمائل؛ من «كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خُلُقًا» [متفق عليه].

٣- ومن دلائل النبوة أيضًا: المعجزات، وخوارق العادات.

أما المعجزات؛ فهي نوعان: معجزات تقع بالتحدي بحصول أمر ماديٍّ محسوس مشاهد، يكون خارقاً للعادة، ولا يمكنهم الإتيان بمثله أصلاً، أو تكون بتعجيزهم وتحديهم بأمر معنويٍّ يمكنهم المحاولة للإتيان بمثله فيعرضون عن المحاولة! أو يحاولون فيعجزون! فيكون هذا التحدي بنوعيه معجزة دالة على صدق دعوى النبوة.

وأما الخوارق للعادات - وهي لنبيِّنا ﷺ قد وقعت بكم هائل، يتجاوز الألف جزءاً - فهي تحصل بقدرة الله تعالى لنبيِّه؛ سواء أتت بطلب منه ﷺ أو بغير طلب؛ وهي تقع ابتداءً من غير تحدٍّ - بخلاف المعجزة - لتكون علامة على صدق النبوة.

تلك الخوارق قد تكون سماوية؛ كالاستسقاء للمطر، والاستصحاء بعده، أو تكون أرضية؛ تجري على يديه ﷺ علامة على صدق نبوته، كنبع الماء من الأصابع، وردّ العين بعد انقلاعها، أو هي تجري في جمادات كتكليم الحجر له ﷺ، أو في نباتات كتكليم الشجر، أو في حيوانات كتكليم الشاة المسمومة المظهيّة!

وسنقتصر هنا على تفصيل مثال واحد لكل من ذلك - طلباً للاختصار - ولنبدأ بالمعجزات بنوعيها، ثم ننبعها بالخوارق.

● أما المعجزات المعنوية؛ فأعظمها إطلاقاً: إنزال القرآن العظيم عليه ﷺ؛ لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذي تحدّى به ﷺ الإنس والجن - وهو أمّي؛ لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يحسب، تحدّاهم جميعاً بأن يأتوا بمثله أو بمثل شيء منه، فعجزوا عن ذلك؛ وهم العرب الأقحاح الخُلص؛ فإن عجزوا هم عن ذلك، فإن من بعدهم كان أولى بالعجز منهم.

● وأما المعجزات الحسية (المشاهدة بالأبصار)؛ فمن أعظمها: حدوث انشقاق القمر، حتى صار فلقين.

قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ [القمر: ١-٢].

عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وآله آية - أي: معجزة دالة على صدق نبوته - فأراهم القمر شقَّتَيْنِ، حتى رأوا جِراءَ بينهما [متفق عليه].

● وأما خوارق العادات، فهي أكثر من أن تُحصى، ومن أعظمها: تفجُّر الماء عذبًا زُلًّا لا من بين أصابعه صلى الله عليه وآله.

قال أنس رضي الله عنه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد حانت صلاةُ العصر، فالتَّمَسَ الوَضوءَ (أي: ماء للوَضوء) فلم يجدوه، فأَتِي رسول الله صلى الله عليه وآله بوَضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في ذلك الإناء، ثم أمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيتُ الماء ينبع من تحت - أو من بين - أصابعه، فتوضأ الناس، حتى توضؤوا من عند آخرهم؛ قال قتادة لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة! [متفق عليه]. ومعنى «من عند آخرهم»: جميعهم حتى آخر واحد منهم.

ونَبُعُ الماءِ قد ثبت حصوله مرات؛ منها يوم الحديبية، كما عند "مسلم"، وكان عددهم زهاء أربعمئة وألفًا، وفي الزُّوراء - ناحية بالمدينة - كما عند الشيخين، وفي غزوة تبوك، كما عند "مسلم"، وغيرها مما لا يحتمل المقام تفصيلًا له.

٤- النبوءات؛ وهي: إخباره عليه الصلاة والسلام بأمور غيبية، مما يكون في المستقبل - في حياته، وبعد مماته - وتلك النبوءات قسمان: نبوءات جاءت وحيًا في القرآن، وأخرى جاءت وحيًا في السنة ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿النجم: ٣-٤﴾؛ ولننظر مثالًا لكل من ذلك:

أما القسم الأول؛ فقد أخبر القرآن بأن عبد العزى بن عبد المطلب، الملقب بأبي لهب، هو وامرأته أم جميل أزوى بنت حرب - وهي أخت أبي سفيان - أخبر بأنهما سيدخلان النار جزماً، وها هما قد ماتا على شركهما لم يؤمنا، ولم يُسلما، مع إمكانهما فعل ذلك، حتى لو ظاهراً، لكنهما لم يفعلوا! وهذا من دلائل النبوة الباهرة.

وأما الثاني؛ فقد وقع عند "مسلم"؛ من حديث أنس، عن عمر رضي الله عنه، قال: (إن النبي ﷺ ليُرِينَا مصارعَ أهلِ بدر، يقول: هذا مصرع فلانٍ غدًا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان، فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا تلك الحدود)؛ أي: صُرع كلُّ منهم في المكان المحدد له مسبقاً! ولعلنا نكتفي بهذه الأمثلة اليسيرة من النبوءات؛ لأن الأمر فيها متسع يكاد ألا ينحصر.

٥- ومن دلائل النبوة أيضاً: الإعجاز العلميُّ الواقع في القرآن والسنة؛ وقد بلغت أفرادها كمًّا هائلاً، حتى صار علماً مستقلاً، وشُكِّلت له هيئات بحث عالمية، وسنذكر هنا - طلباً للاختصار - نموذجاً لكل من ذلك:

أ- نموذج من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) [الذاريات: ٤٧].

بقي العلم إلى الربع الأول من القرن العشرين، وتحديدًا حتى سنة (١٩٢٤م)، ينادي بنظرية ثبات الكون، وعدم تحرُّكه أو تغييره، حتى فوجئ علماء الفلك بعدها، بحقيقة تَبَاعُدِ أغلب مجرَّات الكون عنا، وكذلك تباعدها عن بعضها البعض بسرعات هائلة تكاد تقترب من سرعة

مسير الضوء، المقدرة بحوالي الثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة ! وقد أحدث هذا الكشف العلمي هلعاً في أوساط العلماء، حتى قررت ذلك وأكّده بحوث قوانين الفيزياء النظرية، والمعادلات الرياضية، والقياسات الفلكية. وها هو القرآن الكريم يشير إلى تلك الحقيقة العلمية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً على اكتشافها؛ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. [ملخص من "حقائق علمية في القرآن الكريم" د. زغلول النجار].

ب- نموذج من الإعجاز العلمي في السنة النبوية:

قال ﷺ: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه؛ فإن في أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر داء» [البخاري].

إن البحوث العلمية المستجدة وافقت بمضمونها هذا الحديث؛ معتبرةً الذبابَ ثنائياً المهمة؛ فهو يحمل الجراثيم، وفي الوقت نفسه يحمل مضاداً حيوياً: بكتريوفاج (آكل الميكروبات)، وهذا الأخير مضادٌ هائل المفعول، وكافٍ للقضاء على الجراثيم المحمولة عند الذباب، وإن كان يقضي أيضاً على غيرها، لكن هذا المضادّ الحيويّ الهائل المفعول لا يخرج من الذبابة حتى يُضغَط عليها، «فليغمسه»، والغمس كافٍ لإخراجه؛ لأن الغمس يتسبب في زيادة نسبة الضغط الخارجي للسائل عن الضغط الداخلي لبطن الذبابة - وهو الحامل لفطريات تفرز ذلك المضادّ الحيويّ - ما يؤدي إلى تطايره على هيئة رذاذ، ليقضي في الحال على أثر ذلك الميكروب المرصّي؛ ومن الميكروبات المرصّية الخطيرة التي قد يحملها الذباب: التيفوئيد، الكوليرا، الدوسنتاريا،

وغيرها [ملخص من "الإصابة في صحة حديث الذبابة" لخليل ملاً خاطر].

ب- بعض خصائصه ﷺ:

إن الخصائص النبوية تعني: ما اختصَّ به النبي ﷺ من منح ربانية؛ علمًا أن هذا الاختصاص قد يكون متفردًا، أو مشتركًا مع سائر النبيين عليهم الصلاة والسلام.

وتلك الخصائص، منها ما ظهر في حياته الدنيا ﷺ، ومنها ما أُدخِر له ﷺ في حياته الآخرة.

عليه، سنقسمها قسمين رئيسين؛ الأول: الخصائص النبوية الدنيوية؛ ويندرج فيها ما كان مختصًا بتمام ظاهر الخلق وباطن الخلق، وما كان مختصًا به ﷺ من أحكام، وما شارك به النبيين عليهم الصلاة والسلام، وما فاقهم به ﷺ من خصائص، وكذلك ما كان من خصائص لآل بيته ﷺ، أو لأُمَّته.

والثاني: الخصائص النبوية الأخروية؛ وهي تشمل كلَّ ما اختصَّ به ﷺ من عطاءات ربانية، ومقامات كمالٍ تفرد بها في آخرته. ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٤-٥].

١- الخصائص النبوية الدنيوية؛ وهي عديدة تكاد ألا تنحصر، ونذكر هنا نبدأً بسيرة منها؛ على الترتيب الذي ذكر آنفًا.

- أنه ﷺ كان أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا [متفق عليه]، وقد تقدّم تفصيلٌ لبعض ذلك التمام في الخلق.

- أنه ﷺ أوتي قوة ثلاثين رجلاً!
- قال أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يدور على نساءه في الساعة الواحدة، من الليل أو النهار، وهنَّ إحدى عشرة. قال قتادة - وهو الراوي عن أنس - : يا أنس، أَوَكان يطيقه؟! قال أنس: كنا نتحدَّث أنه أُعطي قوة ثلاثين [البخاري]. وعند "مسلم": كان ﷺ يطوف على نساءه بغُسل واحد.
- أنه ﷺ كان تنام عينه ولا ينام قلبه، قال عليه الصلاة والسلام: «تنام عيني ولا ينام قلبي» [متفق عليه].
- أنه ﷺ يمكنه النظر من خلف رأسه، كما من واجهته! قال ﷺ: «أقيموا صفوفكم وتراصُّوا؛ فإنني أراكم من وراء ظهري» [متفق عليه]، وعند "مسلم" أيضاً: «إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي».
- أنه ﷺ يسمع صلاة كلِّ من صلَّى عليه، وأن الأرض لا تأكل من جسده، وهذا أيضاً لسائر النبيين عليهم الصلاة والسلام؛ قال ﷺ: «من أفضل أيَّامكم يوم الجمعة؛ فيه خُلِق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض عليك صلاتنا وقد أُرمت؟! - يعني: قد بليت - قال: «إن الله عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، صلوات الله عليهم» [أحمد في "مسنده"، وأبو داود].
- أما تمام باطن الخلق؛ فقد تقدَّمت أمثلة مفصَّلة لذلك بأدلتها.

وأما الأحكام التي اختصَّ بها ﷺ؛ فمنها خصائص واجبة لزيادة رفعة مقامه ﷺ عند ربِّه، أو محرمة لتكرمه ﷺ وتنزيهه عن مثل ذلك، أو مباحة من الله لرسوله ﷺ، وهاك بعضها بهذا الترتيب.

● فمن الخصائص الواجبة:

- اختصاصه ﷺ بوجوب صلاة الليل عليه؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل: ١-٢]، وقد قام عليه الصلاة والسلام حتى ورمت قدماه؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر قدماه، قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً؟» [متفق عليه].

- اختصاصه ﷺ بوجوب قضاء دين من مات من المسلمين مُعسراً! قال ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعليّ قضاؤه، ومن ترك ما لاً فلورثته» [متفق عليه].

● ومن الخصائص المحرمة:

- اختصاصه ﷺ بعدم حلِّ أخذه مال الزكاة له، أو لأهل بيته، وكذلك الصدقة. قال عليه الصلاة والسلام: «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحلُّ لمحمَّد ولا لآل محمَّد» [مسلم].

- اختصاصه ﷺ بتحريم نزع لأمته (أي: الثياب المخصَّصة للقتال) إذا لبسها قبل أن يقاتل، أو يحكم الله بينه وبين عدوِّه، وهذه

خاصية مشتركة مع جميع الأنبياء عليهم السلام؛ قال ﷺ: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأُمَّتَهُ أن يضعها حتى يقاتل» [أحمد في "مسنده"، والدارمي في "سننه"].

● ومن الخصائص المباحة له فقط ﷺ:

- إباحة حُمُسٍ من الفيء - ما أخذ من الكفار بغير قتال - ومن الغنيمة أيضًا؛ قال تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ، وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].
- إباحة أن يجعل حِمَىً لنفسه من الأرض الموات، أي: غير المتافع بها، إذا شاء ﷺ ذلك؛ قال ﷺ: «لا حِمَىَ إلا لله ولرسوله» [البخاري].

ولنأت بعدها إلى الخصائص التي فاق بها ﷺ سائر النبيين عليهم الصلاة والسلام؛ فمن ذلك:

- أنه ﷺ اختصَّ بإنزال القرآن الكريم عليه؛ وهو كتاب مُعْجَزٌ، محفوظ من التبديل، مُؤْتَمَنٌ على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزائدًا عليها، وأنه معجزة مستمرة له ﷺ إلى يوم القيامة؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات - أي المعجزات - ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» [متفق عليه].

- أنه ﷺ قد جُمع له جميع معجزات النبيين من قبله، بل هيمن عليها؛ فالمتأمل لسنوف معجزاته ﷺ، إذا قابلها بما يشبهها من معجزاتهم عليهم الصلاة والسلام، يجد أن معجزات نبينا قد فاقت - كما وكيفاً - تلك المعجزات؛ ونضرب لذلك مثلاً واحداً، بغية الاختصار: معجزة نبع الماء من حَجَرٍ مَرَبَّعٍ، يحمله بنو إسرائيل معهم، وهو ممتنع عن إرسال الماء، إلا إذا ضربه موسى ﷺ بعصاه - كما ذكر أهل التفسير - تجد أعجب منه عند نبينا ﷺ؛ حيث ينبع الماء فوراً من بين أصابعه ﷺ متى شاء، فيشرب منه القوم جميعهم، ويرتوون، ويتوضؤون، ثم يملؤون القراب، كل ذلك من بين لحم وعظم وعصب ودم، لا من أجزاء حجر! وقد تقدّم دليل ذلك، ثم قس على ذلك تفوق معجزات نبينا ﷺ على سائر معجزات النبيين عليهم الصلاة والسلام؛ وفي معنى ذلك يقول الإمام الصرصري رحمه الله؛ في قصيدة من ديوان له:

وإن كان موسى أنبَع الماء بالعصا
فمِن كَفِّه أصبح الماء يَطْفَحُ

[ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية"].

- ومن الخصائص المتفوّقة أيضاً: أنه ﷺ مرسل كافة للناس، وأجلت له الغنائم في الحروب، وجعلت له جميع الأرض طيبة طاهرة، ونصر بوقوع الرعب في قلوب أعدائه قبل أن يصل إليهم، وأن له الشفاعة الكبرى؛ بأن يشفع ﷺ ليُقضَى بين جميع الخلق يوم القيامة، كل ذلك متفرداً به عن سائر النبيين عليهم الصلاة والسلام.

قال ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا، وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ» [متفق عليه ما عدا قوله ﷺ: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»، فقد انفرد به "مسلم"].

هذا، ويبقى ما فاق به نبينا سائر النبيين - عليهم جميعا الصلاة والسلام - من خصائص كانت بعد وفاته ﷺ؛ وسوف تجد أمثلة لذلك - إن شاء الله - قريبا في قسم الخصائص الأخرى.

أما خصائصه ﷺ في آل بيته: أزواجه المطهّرات رضي الله عنهن؛ فمنها:

- أنهن رضي الله عنهن: أمّهات المؤمنين؛ وذلك في تحريم نكاحهن من بعده، وفي وجوب احترامهن وطاعتهن؛ قال الله تعالى: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَجهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوْجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي "تفسيره": (أجمع العلماء قاطبةً على أن مَنْ توفى عنها رسولُ اللهِ ﷺ من أزواجه أنه يَحْرُمُ على غيره تزويجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأمّهات المؤمنين).

- أنهن رضي الله عنهن: يحرم الدخول عليهن، وكذلك يحرم رؤية أشخاصهن على المؤمنين بغير حجاب كامل، وقد خُصِّصْنَ بوجوب

استتارهن وراء حجاب، وعدم مكالمتهن معاينةً، أو مشافهة إلا من ورائه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

- أنهن رضي الله عنهن: يجب عليهن المكث من بعده ﷺ في بيوتهن، ويحرم عليهن الخروج منها إلا لحاجة ضرورية؛ طبيعية كانت كالتخلي لقضاء حاجة، أو شرعية كخروج لمسجد؛ غير متعطّرات، ولا متزيّئات، ولا مخالطات لرجال؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال عليه الصلاة والسلام لهن - في حجة الوداع - : «هذه، ثم ظهور الحُصْر» [أخرجه أبو داود]؛ يعني: هذا آخر خروج لَكُنَّ معي، ثم أمكثن في البيوت، ولا تخرجن إلا لحاجة.

أما خصائصه ﷺ في أمته المشرّفة؛ فمن ذلك:

- أمته ﷺ خير الأمم، وهم شهداء على الناس جميعاً يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- أمته ﷺ نصف أهل الجنة، بل هم ثلثا أهلها؛ قال ﷺ: «فوالذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» [متفق عليه]؛ قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم": (وقع في هذا الحديث: «نصف أهل الجنة»، وقد ثبت في الحديث الآخر أن أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفًا؛ فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة، فيكون النبي ﷺ أخبر أولاً بحديث الشطر - أي: النصف - ثم تفضّل الله سبحانه بالزيادة، فأعلم بحديث الصفوف، فأخبر به النبي ﷺ).

- صفوف المصلين في هذه الأمة جُعِلَتْ هَيْئُهَا وَمَنْزِلَتُهَا كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ﷺ؛ قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ صَفُوفُنَا كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ» [مسلم].
- اهتداء الأمة إلى خير يوم طلعت عليه الشمس: يوم الجمعة؛ قَالَ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ، السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوْلَى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ - أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى - أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى» [متفق عليه]، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.
- أُمَّةٌ مَنْ قَامَ مِنْهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ غُفِرَ لَهُ، وَكَانَ أَجْرُهُ كَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ أَلْفَ شَهْرٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [متفق عليه].
- أُمَّةٌ لَا يَهْلِكُ جَمِيعُهَا؛ لَا بَعْدَابَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا بِتَسْلِيْطِ عَدُوِّ عَلَيْهَا، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْأَرْضِ! قَالَ ﷺ: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي: أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةً عَامَةً (أَي: بِقَحْطِ يَعْمَهُمْ)، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، لِيَسْتَبِيحَ بِيَضَّتَهُمْ (أَي: يَذْهَبَ جَمَاعَتَهُمْ وَيُزِيلَ مُلْكَهُمْ وَعِزَّهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ)، وَإِنْ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهَا بَسَنَةً عَامَةً، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، لِيَسْتَبِيحَ بِيَضَّتَهُمْ؛ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا» [مسلم].

ونحن نرى مصداق ذلك واقعاً في أيامنا هذه! فقد توالى الفتن، واستحكمت القتل بين أبناء الأمة - بالآلاف، بل بمئات الآلاف - وسيب بعضهم بعضاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- الخصائص النبوية الأخروية؛ ومنها:

- أنه ﷺ كسائر النبيين عليهم صلوات الله وسلامه مُكْرَمٌ ببقاء جسمه بعد وفاته؛ قال ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم» [أحمد في "مسنده"، وأبو داود].
- أنه ﷺ مكرم بحياته في قبره، ويبلغه سلام أمته عليه؛ قال ﷺ: «إن لله ملائكة في الأرض سيّاحين يبلغوني من أمّتي السلام» [أحمد في "مسنده"].
- أنه ﷺ خير خلق الله كلهم، وهو أول من يُبعث من قبره، وأول من يشفع بالناس للحساب، وبأُمَّتِهِ لدخول الجنة؛ قال ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفّع» [مسلم].
- أنه ﷺ مُكْرَمٌ مختصّ بحوض عظيم رآه في الدنيا رأيَ عينٍ، وتردُّ أُمَّتُهُ عليه فيه في الموقف يوم الحشر، ثم مرة أخرى بعد حسابهم ونجاتهم من النار؛ فيشرب منه أناسٌ منهم فلا يجدوا بعد ذلك عطشاً أبداً! قال ﷺ: «إني فرطكم على الحوض (سابقكم إليه)، من مرَّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردَّنَّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم» [متفق عليه].

وفي عِظَم ذلك الحوض وصِفَتِهِ، يقول ﷺ: «حوضي مسيرة شهر؛ ماؤه أبيضٌ من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه (أنيته، وأباريقه) كنجوم السماء، مَنْ شرب منها فلا يظمأ أبداً» [متفق عليه]، وقال ﷺ: «يَشْحَبُ فِيهِ - أي: في الحوض - ميزابان من الجنة من نهر الكوثر» [مسلم]. أي: يمدُّه بقوة سَيْلَانٍ مَوْرِدَيْنِ عَظِيمَيْنِ من الجنة.

- أنه ﷺ شهيد على أعمال هذه الأمة؛ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ [النساء: ٤١]، وقال ﷺ: «وأنا شهيد عليكم» [متفق عليه].

- أنه ﷺ له الكوثر، عطاءً خالصاً له من ربِّه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ [الكوثر: ١]، وقال ﷺ: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم؛ فقال: «إنه نهر وَعَدَنِيهِ رَبِّي - عزَّ وجلَّ - عليه خير كثير» [مسلم]، وقد وصفه ﷺ لما عُرِجَ به إلى السماء، فقال: «أتيت على نهرٍ حافَّتاه قبابُ اللؤلؤِ المجوَّف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر» [متفق عليه].

- أن له ﷺ المقام المحمود؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (إن الشمس تدنو يوم القيامة - أي: من رؤوس الخلائق - حتى يبلغ العرق نصف الأذن! فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمدٍ ﷺ، فيشفع ليُقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب - أي: باب الجنة - فيومئذٍ يبعثه الله مقامًا محمودًا، يحمده أهلُ الجَمْعِ كلُّهم) [البخاري].

هذا، وإن المقام لا يتسع لتفصيل جميع ما ثبت من خصائص النبي ﷺ في الآخرة، لكن ذكر ابن كثير في موضع تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْبَسَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ملخصاً لها - من مجموع الروايات الثابتة - فقال ﷺ: (قلت: لرسول الله ﷺ تشريفات لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد: فهو أول من تنشق عنه الأرض، ويُبعث راكباً إلى المحشر، وله اللواء الذي تحته آدمُ ومن دونه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثرَ وارداً منه، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي - سبحانه - لفضل القضاء بين الخلائق؛ وذلك بعد أن يسأل الناسُ آدمَ، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ﷺ؛ فكلُّ يقول: لست لها، حتى يأتوا إلى محمد ﷺ، فيقول: «أنا لها، أنا لها»، ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمرَ بهم إلى النار فيردُّون عنها، وهو أولُ الأنبياء يُقضى بين أمته، وأولهم إجازةً على الصراط بأمرته، وهو أول شفيع بالجنة، كما ثبت في "صحيح مسلم"، وفي حديث الصُّور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته، وهو أولُ داخلٍ إليها وأمته قبل الأمم كلهم - يُلاحظ هنا أنه ﷺ دخلها فعلاً في الدنيا ليلة عُرج به إلى السماء - ويشفع في رفع درجاتِ أقوام لا تبلغها أعمالهم، وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة، لا تليق إلا له، وإذا أذن الله تعالى للشفاعة في العصاة شفع الملائكة والنبئون والمؤمنون، فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدَّتهم إلا الله، ولا يشفع أحدٌ مثله، ولا يساويه في ذلك). انتهى كلامه ﷺ.

صلوات ربِّي تترا وسلامه وبركاته على رسوله محمد؛ رضينا بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

ج- بعض حقوق المصطفى ﷺ على صنوف سائر الخلق، ونذكر منها
نزراً يسيراً:

١- وجوب الإيمان به ﷺ وطاعته، واتباعه.

أما الإيمان به ﷺ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿ [الفتح: ٨-٩]، وقال ﷺ: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - أي: من الناس جميعاً - يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» [مسلم].

فائدة: قال النووي في "المنهاج": «إنما ذكر ﷺ اليهوديَّ والنصرانيَّ تنبيهاً على من سواهما، وذلك أن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً، فغيرهم ممن لا كتاب لهم أولى - أي: بالإيمان بي - والله أعلم».

وأما وجوب طاعته ﷺ؛ قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]؛ فجعل تعالى طاعة رسوله طاعةً له سبحانه، بل قرَن طاعته بطاعته، وقال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله» [متفق عليه].

وأما وجوب اتباعه ﷺ، وامثال سنته والافتداء بهديه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ فجعل سبحانه طريقاً وحيداً متفرداً إلى محبته: حُسن اتباع نبيه ﷺ، والافتداء به ما أمكن، وتحري العمل بسنته، وترك مخالفته في قول، أو فعل، أو تبديل شيء من سنته.

٢- وجوب احترامه وإجلاله وإعظامه؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ [الفتح: ٨-١٠]؛ قال ابن كثير في "تفسيره" معنى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: قال ابن عباس وغير واحد: تعظموه، ومعنى ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: هو الاحترام والإجلال والإعظام، ثم قال لرسوله ﷺ تشریفاً له وتعظيماً وتكريماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وذلك كقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ومن أدلة وجوب احترامه ﷺ أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفُوا لِلَّهِ إِنَّا اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١) يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١-٣]؛ قال ابن كثير في "تفسيره": هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يُعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام؛ ثم ذكرها ﷺ، مفصلةً كالاتي:

- عدم الإسراع في الأشياء بين يديه (أي: قبله)، بل الواجب أن يكونوا تبعاً له في جميع الأمور.
- وجوب خفض الصوت في حضرته ﷺ، ثم ذكر ﷺ قول العلماء في أنه يُكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يُكره في حياته؛ لأنه محترم حياً وفي قبره، صلوات الله وسلامه عليه دائماً.

- عدم الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يُخاطب ﷺ بسكينة ووقار وتعظيم.
- وجوب الخشية من غضب رسول الله ﷺ لو رفعتم صوتًا عنده، أو خاطبتموه بغير وقار، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه، وهو لا يدري.
- حرمة مناداته من وراء بيوت نساءه كما يصنع أجلاف الأعراب، ووجوب التوبة من ذلك عند مقارفته. انتهى كلامه ﷺ.
- ٣- وجوب تقديم محبته ﷺ على محبة كل مخلوق؛ قال ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [متفق عليه]، وعند "مسلم": «من أهله وماله والناس أجمعين».
- ٤- وجوب النصيحة له ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]، وقال ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لِلَّهِ، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» [مسلم]؛ قال النووي في "شرح مسلم": (وأما النصيحة لرسول الله ﷺ؛ فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبت دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بأدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك).

٥- ومن حقوقه ﷺ الاستجابة لأمر الله تعالى في الصلاة والسلام عليه، كلما ذكر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال ﷺ: «من صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» [مسلم].

هذا، ويستحب كثرة الصلاة والسلام على النبي في كل حين، وبخاصة في نهار الجمعة وليلتها.

قال ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا عَلَيَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عَلَيَّ» [أحمد في "مسنده"، وأبو داود].

مسألة: ما معنى الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

الإجابة - وهي مستفادة من كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ" للقاضي عياض رحمة الله عليه - :

الصلاة من الله تعالى على رسوله: ثناؤه عليه عند الملائكة، ورحمته، ومنحه البركة منه سبحانه.

أما الصلاة من الملائكة عليه: فبالدعاء له والاستغفار، والتبريك عليه. والصلاة من العباد عليه: طلب من الله تعالى مزيد الثناء والرحمة والبركة والمغفرة.

أما إلقاء السلام عليه ﷺ؛ فقد قام به الصحابة رضي الله عنهم، ويقوم به من بعدهم إذا زاروا المسجد النبوي، يُلقون السلام عليه ﷺ عند حضورهم بين يديه، وكذلك عند ذكره في أي مكان.

وأما معنى السلام؛ فهو من ثلاثة وجوه:

- السلامة لك ومعك.
- السلام على حفظك ورعايتك، متولٍّ له وكفيلٌ به الله تعالى.
- المسالمة لك منا، والانقياد لطاعتك، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

تلك كانت بعض حقوق نبيِّنا ﷺ على الناس عامَّة، وعلينا خاصَّة، وبها يكون ختام السيرة الخاصة به ﷺ، لنتقل بعدها إلى معرفة السيرة العامَّة؛ وهي تتضمن بيان الحوادث المشهودة في حياته ﷺ.



البَابُ الثَّانِي

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الْعَامَّةُ

سيدوي هذا الباب ثلاثة فصول:

الأول: السَّيْرَةُ الْمَكِّيَّةُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ.

الثاني: السَّيْرَةُ الْمَكِّيَّةُ بَعْدَ الْبِعْثَةِ.

الثالث: الْهَجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَالسَّيْرَةُ الْمَدَنِيَّةُ
(مرتبّة بالسنوات).



تمهيد: إن سيرة نبينا ﷺ قد حوت جوانبها ما انعدم نظيره في سير عظماء البشرية، وقد حفظها لنا علماؤنا - أيضاً - بشكل انعدم نظيره لدى سائر الأمم، إلا أنك تلحظ بتأمل يسير أن كثيراً منها قد تشابكت فيه الحوادث المتسلسلة مع الأعمال الجهادية؛ بحيث يُشكّل على طلبة العلم - فضلاً عن عامة المسلمين - ضبّطها؛ لذا فقد أحببت تيسيراً على المسلم المعاصر أن أفصل هذه عن تلك، ولو وقعت في سنة واحدة، لتتضح معالم كل منها، وأن أقسم السيرة - مكّيها ومدنيها - مراحل محددة؛ لينضبط ذلك كله في ذهن القارئ، ويسهل رجوعه إليه متى شاء.

إِهْفَظِكِ الْأَوَّلَ

السيرة المكيّة قبل البعثة

١- مولد النبي ﷺ .

ولد صلوات الله وسلامه عليه في فصل الربيع، بعد فجر يوم الإثنين، الثامن من ربيع الأول؛ لأول عام من حادثة الفيل، سنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة = ٥٣/٣/٨ ق.هـ. الموافق لليوم الواحد والعشرين من شهر نيسان/ أبريل، سنة ٥٧١ من الميلاد؛ وذلك في دار عمّه أبي طالب، بشعب بني هاشم، في مكة المكرمة، وتوفي والده عبدالله، وهو ﷺ حَمَلٌ لشهرين في بطن أمّه، «ورأت أمّه حين حملت به كأن نوراً خرج منها أضواء له قصور الشام» [أخرجه أحمد في "مسنده"، والحاكم في "مستدرکه" وصحّحه، ووافقه الذهبي]، وقد توفيت أمّه آمنّة - باتفاقٍ - بمنطقة الأبواء، بين مكة والمدينة، وهي في سنّ الثلاثين، وكان قد بلغ ﷺ السادسة من العمر؛ وتوفي والده شاباً في الخامسة والعشرين!

أما دليل يوم الإثنين، فلقوله ﷺ: «ذاك يومٌ وُلدت فيه، وأنزل عليّ فيه» [مسلم].

وأما أنه في الثامن من ربيع الأول؛ فلكونه مثبت في رواية مالك في "موطئه"، وغيره - بإسناد صحيح - عن تابعي جليل، هو محمّد بن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأما عام الفيل؛ فلما صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما بإخباره بذلك [البيهقي في "الدلائل"، والحاكم في "مستدرکه" وصحَّحه، ووافقه الذهبي]، ولقول قيس بن مخرمة رضي الله عنه: (ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل) [الترمذي وحسنه، والحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي].

وأما التأريخ المتقدم ذكره (٢١ أبريل)؛ فحسبما حقَّقه محمَّد سليمان المنصورفوري، في كتابه "رحمة للعالمين"، مع الإشارة إلى أن اختياره صلى الله عليه وسلم لزمان المولد كان التاسع من ربيع الأول، فكان تأريخه الميلادي - تبعاً لذلك - الثاني والعشرين من إبريل.

تنبيه: يقيم بعض المسلمين احتفالات لمولده صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من ربيع الأول كلَّ عام؛ وهذا يُجانب الصواب من وجوه:

- أنه لم يُشرع عملُ ذلك.
- وأن السلف الصالح لم يفعلوه، ولم يدلُّوا عليه.
- وأن تحديده بالثاني عشر من ربيع الأول مشهور عند أهل السَّير، لكن الصحيح المنقول أنه في الثامن منه، كما ذكر آنفاً.
- ولأن الثابت أن الثاني عشر من ربيع الأول هو يوم وفاته صلى الله عليه وسلم؛ فكيف يكون احتفالاً في هذا اليوم؟!

هذا، إضافة إلى ما قد يحدث في تلك الاحتفالات من منكرات؛ كاستغاثة بغير الله تعالى، وطلب مَدَدٍ، وضرب بالدفوف والطبول، واختلاط بين الجنسين، وغير ذلك.

٢- تسميته ﷺ، وكفالة جدّه له.

لَمَّا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ﷺ أُرْسِلَتْ لِجَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبَشُّرُهُ بِحَفِيدِهِ، فَهَرَعَ مُسْتَبْشِرًا إِلَى الْبَيْتِ، وَحَمَلَ الْمَوْلُودَ إِلَى الْكَعْبَةِ وَشَكَرَ اللَّهَ، ثُمَّ دَعَا لِحَفِيدِهِ، وَفِي يَوْمٍ سَابِعِهِ خَتَنَهُ - عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ آنَذَاكَ - وَأَطْعَمَ النَّاسَ، وَاخْتَارَ لَهُ اسْمًا لَمْ يَكُنْ شَائِعًا قَبْلُ عِنْدَهُمْ، فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا ﷺ؛ رَجَاءً أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ وَيَحْمَدَهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كِفَالَةِ جَدِّهِ حَتَّى بَلَغَ ثَمَانِي سِنِينَ، فَلَمَّا مَاتَ جَدُّهُ وَلِيَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ.

مسألة: ذكرت - فيما تقدّم - أن مولده ﷺ كان بعد حادثة أصحاب الفيل بزمن يسير - بما يقارب خمسين ليلة - وتلك الحادثة تعتبر من أشهر الحوادث عند العرب، حتى إنهم ليؤرّخون بها، وفي ذكرها يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فُجِعَلَهُمْ كَعِصِفٍ مَّا كُؤِلِ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١-٥]؛ فبأي شيء امتنّ الله بإهلاك أصحاب الفيل وهم نصارى أهل كتاب، على قريش وهم عبدة أوثان لا كتاب لهم؟!!

الإجابة: قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "تفسيره": (كان أصحاب الفيل قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالًا مما كانت عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن هذا - أي: إهلاك أصحاب الفيل - كان من باب الإرهاب والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ؛ فإنه في ذلك العام وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ، وَلِسَانِ حَالِ الْقَدَرِ يَقُولُ: لَمْ نَنْصِرْكُمْ يَا مَعْشَرَ قَرَيْشَ عَلَى الْحَبْشَةِ لِحَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ صِيَانَةً لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنَشْرَفُهُ وَنَعِظُّمَهُ وَنُوقِرُهُ بِبَعْثَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ).

٣- حضانة النبي ﷺ، ورضاعه.

لَمَّا وُلِدَتْ أُمَّةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ تَوَفَّى أَبُوهُ - وَهُوَ ﷺ حَمْلٌ لَشَهْرَيْنِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، كَمَا تَقَدَّمَ - حَضَنْتَهُ وَاعْتَنَتْ بِهِ أُمُّ أَيْمَنَ: بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ الْحَبَشِيَّةِ، وَكَانَتْ أُمَّةً عِنْدَ وَالِدِهِ عَبْدِ اللَّهِ، «فَلَمَّا كَبِرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَعْتَقَهَا، ثُمَّ زَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ - فَوُلِدَتْ لَهُ أَسَامَةَ - وَهِيَ تُوَفِّيَتْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ» [مسلم].

أَمَّا مَرْضَعَاتُهُ؛ فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُمَا: ثَوْبِيَّةُ الْأَسْلَمِيَّةُ، وَحَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ، أَرْضَعَتْهُ الْأَخِيرَةَ لِمُدَّةِ عَامَيْنِ، وَبَعْدَ فِطَامِهِ، دَفَعَتْهُ إِلَى أُمِّهِ أَمَّةَ، لَكِنَّمَا عَادَتْ فَاسْتَأْذَنْتْ وَالدَّهَ فِي إِبْقَائِهِ عِنْدَهَا مَدَّةَ أَطْوَلٍ، فَأَذْنَتْ أُمَّهُ بِذَلِكَ؛ لِاعْتِقَادِهَا أَنَّ جَوَّْ الْبَادِيَةِ أَلْطَفَ لَوْلَدِهَا مِنْ جَوِّْ مَكَّةَ.

٤- حادثة شقِّ الصدر.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامَانِ، فَأَخَذَهُ فَصْرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حِطُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لِأُمِّهِ - جَمَعَهُ، وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ - ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغُلَّامَانِ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ (أَي: مَرْضَعَتِهِ حَلِيمَةَ)، فَقَالُوا: إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ! فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مَنْتَقِعُ اللَّوْنِ - أَي: قَدْ اصْفَرَّ لَوْنُ بَشَرَتِهِ - قَالَ أَنَسُ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ» [مسلم].

٥- رجوعه ﷺ إلى حضن أمه، وكفالة جدّه له، ثم عمّه.

لَمَّا حَصَلَتْ حَادِثَةُ شَقِّ الصَّدْرِ فِي الرَّابِعَةِ مِنْ عَمْرِهِ ﷺ خَافَتْ حَلِيمَةُ أَنْ يَصِيبَهُ مَكْرُوهُ وَهُوَ عِنْدَهَا، فَسَلَّمَتْهُ إِلَى حِضْنِ أُمِّهِ، فَبَقِيَ ﷺ سِنَتَانِ

عندها، ثم توفّاها الله تعالى - وهي في سن الثلاثين، كما تقدّم - فبقي في كفالة جدّه إلى أن توفي هو أيضًا بعد سنتين، ثم كفله عمّه أبو طالب، وكان عمره ﷺ حينئذٍ ثماني سنوات.

٦- عمله ﷺ قبل البعثة.

عَمِلَ ﷺ فِي رَعِيِ الْغَنَمِ، وَفِي التِّجَارَةِ.

أما رَعِيِ الْغَنَمِ؛ فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكَبَاثَ - أي: ثمر الأراك النضيج - وإن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأسود منه؛ فإنه أطيبه»، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «وهل من نبيٍّ إلا وقد رعاها» [متفق عليه].

وأما التجارة؛ فقد سافر عليه الصلاة والسلام خارج مكة مرتين؛ أولاهما في رَكْبِ تِجَارَةٍ مع عمّه أبي طالب إلى الشام، (وقد مرّوا براهب - اسمه بَحِيرَى - فجعل يتخلّلهم، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، فقال: هذا سيّد المرسلين، هذا رسول ربّ العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين . . .) [الأثر بتمامه عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، رواه الترمذي، وصحّحه وحسنه، كما صحّحه الحاكم، وابن حجر، ورواه أحمد في "مسنده" بإسناد صحيح على شرط البخاري]، وكان سنّه ﷺ آنذاك اثنتي عشرة سنة ونيّفًا، وسافر عليه الصلاة والسلام مرة أخرى لما بلغ خمسًا وعشرين سنة إلى الشام أيضًا، للاتجار بمالٍ لخديجة رضي الله عنها، مع غلام لها يُدعى ميسرة، وذلك قبل أن يتزوج بها عليه الصلاة والسلام.

٧ - يوم الفجار، وحلف الفضول.

أما يوم الفجار، فسببه اختلافُ نَسَبٍ بين كِنانة - ومنهم قريش - مع قبيلة هوازن؛ وتفصيلُهُ أن العرب تعارفوا على أن يكون ضمان حماية القوافل للتجارة مختصًا بصلاحيات كِنانة؛ فَحَدَّثَ أَنَّ رجلاً من هوازن يدعى عروة الرِّحَال أراد أن يضمن حماية قافلة للنعمان بن منذر متوجِّهة إلى سوق عكاظ، فأغضب ذلك البرَّاضَ بنَ قَيْسٍ من كِنانة، فسأله - مستغرباً فِعْلَتَهُ - : أَتُجِيرُهَا عَلَى كِنَانَةَ؟! فَأَجَابَهُ عُرْوَةُ: نَعَمْ، وَعَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ أَيْضًا! واستمر عروة بعدها في مرافقة القافلة، فتربَّص به البرَّاضُ حتى إذا غفل قتله، وكان ذلك في شهرٍ حرام! فارتحلت كِنانةُ تحسُّبًا لانتقام هوازن، فلاحقتهم هوازنُ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا، حتى إذا جاء الليل ودخلت كِنانةُ الحرمَ أمسكت هوازنُ عن قتالهم، لكنهم في أيام تلت تقاتلوا مستحِلِّين حرمة مكة؛ فبذلك سميت حرب الفجار؛ حيث تفاجروا فيها، فلم يَقْدُرُوا حرمة البيت، ولا حرمة الشهر الحرام.

كان ذلك، والنبِيُّ ﷺ لم يتجاوز - على الأشهر - الخامسة عشرة سنة، فطلب منه أعمامه الخروج معهم، فكان يجمع عليه الصلاة والسلام لأعمامه نبال الأعداء إذا رمَّوهم بها، ثم يناولهم إياها لينبلوا بها عدوَّهم مرة أخرى؛ قال ﷺ: «قد حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم، وما أُحِبُّ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِعْلَتَهُ، وَكُنْتُ أُنْبِلُ عَلَى أَعْمَامِي» [ابن سعد في "طبقاته"، وهو ضعيف، لكنْ آثَرْتُ ذِكْرَهُ لِمَزِيدِ شَهْرَتِهِ عِنْدَ أَهْلِ السَّيْرِ].

وأما حلف الفضول؛ فقد حضره النبي ﷺ، وكان عمره آنذاك عشرين عامًا، والذي دعا إلى ذلك الحلف هو عمُّ النبي ﷺ: الزبير بن

عبد المطلب؛ وكان سببه أن تاجرًا من زبيد سلّم بضاعة إلى العاصي ابن وائل السهمي؛ واستغل العاصي مكانته بين أهل مكة فمنع ذلك الزبيديّ ثمن بضاعته، فاشتكاه إلى بعض وجهاء مكة فأبوا أن يُعينوه لاسترجاع حقه، عندها رقى الزبيديّ جبلَ أبي قبيس وقريش في أنديتهم يسمعونَه حول الكعبة، واستجار بهم بأبيات شعر أنشدها، فلما سمعه الزبير بن عبدالمطلب، قام فقال: ألهذا مَثْرَكُ؟! (أي: لا يمكن أن يُترك مثل هذا الظلم على حاله)؛ فتنادت بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم - وهم خمسة من أعظم بطون قريش - تناذوا لاجتماع طارئ في دار عبدالله بن جُدعان سيّد بني تيم، وذلك في شهر ذي القعدة الحرام، وتحالفوا على أن يكونوا يداً واحدة مع المظلوم؛ من قريش، أو غيرها - إذا دخل مكة - حتى يسترّد حقه من ظالمه، وذلك "ما بلُّ بحرٌ صوفه، وما رسا حراءٌ وثبيرٌ مكانهما!"؛ يقصدون بذلك أن تعاهدهم على ذلك تعاهد دائم أبداً لا ينقطع؛ فالبحر لا يزال فيه ماء يبُلُّ الصوفَ، والجبلان باقيان دوماً على حالهما. قال ﷺ: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جُدعان حلفاً، ما أحبُّ أن لي به حُمْرُ النَّعَم - أي: نفائس الإبل - ولو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت» [أحمد في "مسنده"، وابن حبان في "صحيحه"، والبيهقي في "سننه"، وفي "دلائله" أيضاً، وصحّحه الهيثمي في "مَجْمَع زوائد"].

٨- الزواج المبارك الميمون.

إن رحلة الاتجار بمال خديجة رضي الله عنها، كانت بمثابة توطئة لتتعرف تلك السيدة الفاضلة على كريم خُلق نبينا ﷺ؛ فبعد أن حدّثها غلامها ميسرة عما رأى من سماحته ﷺ في تجارته، وصدقه فيها وأمانته، وبعد أن

رأت في مالها من البركة ما لم تره من قبل، وجدت خديجة ما كانت تنشده من زوجٍ مثاليٍّ كريمٍ؛ فحدّثتها نفسها أن تتقرّب إليه بالزواج، فأخبرت صديقتها نفيسة بنت منبّه، التي بدورها فاتحت النبي ﷺ بذلك، فرضي عليه الصلاة والسلام لما علم من فضل خديجة وطيب أصلها، ثم عرض هذا الأمر على أعمامه، فرضوا بذلك، وأقبل عمّه حمزة رضي الله عنه فخطبها إليه، وأصدقها - جعل لها مهرًا - عشرين بكرة (من الإبل).

إضاءة دعويّة: تزوّج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها، وكان عمره خمسًا وعشرين سنة، في حين كان عمرها أربعين سنة، وإن في موافقته ﷺ على الاقتران بها، وكذلك في موافقة أعمامه أقوى دليل على تقديرهم أهل الفضل والنسب الطيب، وأن هدف ذلك الزواج لم يكن لقضاء الشهوة فحسب؛ وإلا فمن يمنع أجمل شباب العالمين، وخيرهم خلقًا وخلقًا، وأحسنهم نسبًا أن يقترن بفتاة بكرٍ تكون في مقتبل العمر، تشاركه حياة الشباب وزهوة طيباته؟! وما يؤكد ذلك المعنى السامي أن هذا الزواج المبارك استمر خمسًا وعشرين سنة، ولم يتزوج عليه الصلاة والسلام غيرها حتى توفّاها الله وهي في سنّ الخامسة والستين!

هذا، وقد أنجبت خديجةُ للنبي ﷺ ابنتين وأربع بنات؛ القاسم، وبه كان يُكنى، وعبدالله، ويلقب بالطاهر وبالطيب، وزينب، ورُقَيّة، وأمّ كلثوم، وفاطمة، رضي الله عنهم وعنهنّ أجمعين.

٩- المشاركة في تجديد بنين الكعبة، ووضع الحجر الأسود.

لما بلغ النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة؛ أي: قبل المبعث بخمس سنين، أرادت قريش تجديد بناء الكعبة؛ لكنهم هابوا في أول الأمر أن

يشرعوا في هدمها، ثم شرع الوليد بن المغيرة بذلك، فتبعوه مريدين الخير في ذلك، واشترك سادة قريش في نقل الحجارة المعدة لبناء الكعبة ورفعها، «وذهب النبي ﷺ وعباسُ عمُّه ﷺ ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ - مشفقاً ناصحاً - : عمِّه، يا ابن أخي، اجعل إزارك على رقبتك (أي: ليقيك أذى الحجارة)، ففعل عليه الصلاة والسلام، فخرَّ (سقط مغشياً عليه) إلى الأرض، وطمحت (استشرفت، وارتفعت) عيناه إلى السماء، فقال: «أرني إزاري»، فشده ﷺ عليه [متفق عليه].

مسألة مهمة: قال ﷺ: «يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه» (أي: حجر إسماعيل؛ حيث قُضروا عن النفقة الحلال، فاخترأوا جهة الحجر لإنقاص البناء منها، لاستحالة الإنقاص من جهة الحجر الأسود، أو الركن اليماني)، «وألزفته بالأرض وجعلت له بايين؛ باباً شرقياً، وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم» [متفق عليه]؛ والمسألة هنا: لماذا لم يشرع أحد من حكام المسلمين إلى يومنا هذا، بإعادة بناء الكعبة، على ما أخبر به النبي ﷺ وهم بفعله، مع توافر القدرات المادية لديهم، وثبوت الإسلام في نفوس المسلمين؟!!

قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم": (قال العلماء: ولا يُغيَّر عن هذا البناء؛ وقد ذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس رحمه الله عن هدمها وردّها إلى بناء ابن الزبير رحمه الله - حيث إن ابن الزبير في خلافته قام بنقض البيت، ثم أقامه موافقاً لما أعلم به النبي ﷺ عائشة في الحديث آنف الذكر - فقال مالك: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت لعبة

للملوك؛ لا يشاء أحدٌ إلا نقضه وبناءه، فتذهب هيبتُهُ من صدور الناس)، وهذا - بلا ريب - من عظيم فقه الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبالغ حكمته .

ولنعد بعد تلك المسألة إلى وضع الحجر الأسود في مكانه؛ واختلاف أقسام قريش أيُّهم يَشْرُفُ بذلك؛ فقد جاء في الأثر، عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لما انهدم البيت بعد جُرْهم بَنَتْهُ قريش؛ فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا، مَنْ يضعه؟ فانفقوا أن يضعه أول مَنْ يدخل من هذا الباب (باب بني شَيْبَةَ)، فدخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك الباب؛ فأمر بثوبٍ فوُضِعَ الحجر في وسطه، ثم أمر كلَّ فَخْذٍ (قِسْمٍ من القوم) أن يأخذوا بطائفة (بطرف) من الثوب، فرفعوه، ثم أخذه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعه [أحمد في "مسنده"، والحاكم في "مستدرکه"، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

إضاءة دعويّة: إن في قبول زعماء قريش بالتحاكم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بعثته، خير دليل على ثقتهم بحكمته والصدور عن رأيه، ثم إن في قبولهم وضعه الحجر الأسود منفردًا في موضعه، أصدق برهان على مدى تقديرهم لشخصه الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٠- مقدّمات البعثة النبويّة.

ويدل عليها نوعان من العلامات؛ عامّة وخاصّة.

● العلامات العامّة:

ذكرت - فيما تقدم - قصة أصحاب الفيل، وأنها كانت موافقة لسنة مولد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها كالتوطئة لمبعثه عليه الصلاة والسلام؛ فحماية البيت ووجوب تعظيمه وشكر الله على إهلاك من أراد بيته المعظم شرًّا،

كلُّ ذلك ليكون مبعثه ﷺ ودعوته إلى الإسلام في حال تأييدٍ من الله تعالى؛ ولتعلم قريش أن الواجب عليها شكر الله تعالى، ونصرة نبيه ﷺ إذا بُعث منها.

كذلك، فإن البشارة به ﷺ في الكتب المنزلة السابقة، هي علامة عامة أيضاً على مبعثه، وقد تقدم تفصيل لبعضها.

● العلامات الخاصة ؛ ومن ذلك :

- رعيه ﷺ الغنم لأهل مكة، وقد تقدّم قوله عليه الصلاة والسلام: «وهل من نبيّ إلا وقد رعاها» [متفق عليه].
- حادثة شقّ الصدر واستخراج حظّ الشيطان منه، حين كان ﷺ مُسْتَرَضِعاً في بني سعد، وقد تقدّم دليل ذلك.
- حِفْظُ الله تعالى له من أن تنكشف عورته، حين خرّ ﷺ مغشياً عليه؛ لما جعل إزاره على رقبته، ليقيه أثر الحجارة التي ينقلها لبناء الكعبة، ولم يُرَ ﷺ بعد ذلك عُرياناً ألبته، وقد تقدّم دليله أيضاً.
- رَضْدُ الشياطين بالشُّهْبِ، وتحقُّق إصابتهم بها باستمرار، قبيل بعثته ﷺ؛ وذلك لحجبهم عن استراق السمع لخبر السماء؛ كي لا يختلط شيء من الكهانة بالوحي؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدُ لَهُ شَهَابًا رَضْدًا﴾ [الجن: ٩].
- معرفة أحرارِ يهودَ ورهبانِ النَّصارى، وكُفَّانِ العرب بقرب مبعثه ﷺ.
- سلام الحجر عليه ﷺ في مكة؛ قال ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم عليّ، قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن» [مسلم].

- استقامته المشهود بها حتى من أعدائه، أثناء شبابه، ووصفه بالصادق الأمين .
- مخالفته ﷺ ما ابتدعته الحُمسُ (مُدَّعو التدين والفضل الزائد من قريش عن سائر الناس)؛ حيث إنه لم يقف معهم في حُجَّه بالمزدلفة؛ بل تجاوزها، ووقف مع الناس في عرفات على جَمَلٍ له؛ كما ثبت في الحديث المتفق عليه .
- علم هرقل عظيم الروم بقرب المبعث، وكان عالمًا بدين النصرى، وقوله حين جاءه الخبر برسالته ﷺ: (وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم؛ فلو أنني أعلم أنني أخلصُ إليه لتجشمت لقاءه - أي: لتحملت المشاقَّ من أجل لقاءه - ولو كنت عنده لغسلت قدميه) [خبر متفق عليه].
- الرؤيا الصادقة التي كانت تحدث تمامًا كما هي، مثل ضياء الصبح في وضوحه، وهي أول ما بُدئ به ﷺ من الوحي، كما في "الصحيحين" .
- حُبُّه ﷺ للعزلة والانفراد بنفسه في غار حراء؛ يمكث هناك ليالي عديدة يتفرَّغ للتفكير والتأمل، والتعبُّد، كما في "الصحيحين" أيضًا .



الفصل الثاني

السيرة المكيّة بعد البعثة

١- الفترة بين عيسى ومحمّد عليهما الصلاة والسلام.

عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه، قال: فترة ما بين عيسى ومحمّد عليهما الصلاة والسلام ستّ مائة سنة [البخاري]؛ وبالتحديد كان بدء الوحي حين بلغ صلى الله عليه وآله من عمره أربعين سنة قمرية ويومًا؛ وذلك ليلة الإثنين في الثاني عشر من شهر شباط (فبراير)، من عام ٦١٠م، كما حقّقه القاضي المنصورفوري في كتابه: "رحمة للعالمين".

٢- قصة بدء الوحي.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أول ما بُدئَ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله من الوحي: الرؤيا الصالحة (أي: الصادقة) في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (أي: تقع كما رآها صلى الله عليه وآله)، وتكون مثل ضياء الصبح في وضوحه)، ثم حُببَ إليه الخلاء (أي: الانفراد بنفسه، لِمَا كان يراه من ضلال قومه)، وكان يخلو بغارِ حراء (وهو: كهف ضيق في جبل حراء القريب من مكة، عن يسار الذهاب إلى منى)، فيتحنّث فيه، (قال الزُّهري: وهو التعبُّد الليلي ذوات العدد)، قبل أن ينزِعَ إلى أهله (أي: يرجع مشتاقًا إلى خديجة رضي الله عنها)، يتزوّد لذلك (أي: حال كونه صلى الله عليه وآله آخذًا معه زادًا يكفيه لمدة التعبُّد)، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها (أي: لفترة تعبُّدٍ أخرى)، حتى فجَّئه الحقُّ (أي: جاءه الوحي بغتةً) وهو في

غار حراء؛ فجاءه المَلَكُ (هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، (أي: لا أحسنُ القراءة)، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهدَ (أي: ضممني ضمًّا شديدًا)، ثم أرسلني (أي: أطلقني)، فقال: اقرأ، قلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهدَ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]، فرجع بها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقال: «زُمَّلوني، زُمَّلوني» (أي: غطوني بالثياب ولقوني بها)؛ فزُمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ (أي: الفرع)، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : «لقد خشيتُ على نفسي»، فقالت خديجة: كلا، والله، ما يُخزبك اللهُ أبدًا (أي: لا يفضحك، ولا يهينك)، إنك لتصلُ الرَّحِمَ، وتحمِلُ الكَلَّ (أي: تخفف عن المُتَعَبِ، المُثْقَلِ بالهَمِّ؛ فتعين الضعيف واليتيم والعائل ونحوهم)، وتكسِبُ المعدومَ (أي: تكسب المال المبارك الذي يعجز عنه غيرك، ثم تجود به في وجوه الخير)، وتقرِّي الضيف (أي: تهيبُّ له طعامه ونزله)، وتعين على نوائب الحقِّ (أي: تساعد من عَزَمَ على حادثةٍ خيرٍ فتعينه فيها).

فانطلقت به خديجةُ حتى أتت به ورقةَ بنَ نوفلِ بنِ أسدٍ، وهو ابنُ عمِّها، وكان امرأً تنصّرَ (أي: صار إلى النصرانية في الجاهلية)، كان يكتب الكتاب العبرانيَّ؛ فيكتب من الإنجيل بالعبرانيَّة ما شاء اللهُ أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ اسمع من ابن أخيك، (قالت ذلك لأن الأب الثالث لورقة: عبد العزَّى، هو

أخُّ للأب الرابع لرسول الله ﷺ عبد مناف، أو أنها قالتها على سبيل احترام ورقة؛ لكبر سنه).

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس (أي: صاحب سر الخير، المخصوص بالغيب والوحي، وهو جبريل عليه السلام)، الذي نزل الله على موسى عليه السلام، يا ليتني فيها جذعاً (أي أتمنى أن أكون عندئذ في مكة شاباً قوياً لأبالغ في نصرتك)، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟!»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا (أي: قوياً بالغاً) [متفق عليه]، وتفسير الألفاظ من "شرح مسلم للنووي".

مسألة: صدق ورقة رسول الله ﷺ فيما أعلمه به من بدء الوحي، ونوى نصرته إن هو جهر بدعوته وعاداه قومه، فهل هو من جملة أهل الجنة؟

نعم، فقد سئل رسول الله ﷺ عنه، فقال: «أبصرته في بطنان الجنة، عليه السُّندس» [أبو يعلى في "مسنده"، وإسناده حسن]. «وبطنان الجنة»: وسطها، كما في "مختار الصحاح" للرازي. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنتين» [صححه الحاكم، ووافقه الذهبي].

٣- انقطاع الوحي لفترة، ثم تتابعه متصلاً.

لم ينشب ورقة (أي: لم يلبث بعد هذا التصديق والنية الطيبة) أن توفي، وفتّر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ. [البخاري].

وبعد احتباس الوحي عن النزول لفترة - دامت أياماً فقط كما أفاده ابن حجر في "الفتح"، ولم تدم ثلاثة أعوام كما هو مشتهر عند أهل

السَّيْر - أنعم الله على عبده ورسوله ﷺ بمتابعة الوحي إليه؛ فعن جابر ابن عبد الله الأنصاري - محدثًا عن فترة الوحي - أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراءٍ جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعِبْتُ منه، فرجعت فقلت: زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتِبَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١-٥]، فحمي الوحي وتتابع» [متفق عليه].

مسألة: متى كان نزول جبريل عليه السلام إلى غار جبل حراء بالوحي أول مرة؟ كان ذلك في شهر رمضان؛ قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي ليلة القدر منه تحديدًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]، وقال سبحانه: ﴿حَمِّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان: ١-٣]، وفي "الصحيحين": «أنه ﷺ بعث لأربعين سنة»، زاد "مسلم" أن ذلك كان يوم الإثنين.

فيتحصّل مما ذكر: أن بداية الوحي كانت في شهر رمضان، ليلة القدر منه، ليلة إثنين، وكان عليه الصلاة والسلام قد تمّ له من العمر أربعون عامًا.

٤- أول من آمن به ﷺ.

- من الرجال البالغين الأحرار: أبو بكر الصديق التيمي القرشي رضي الله عنه؛ واسمه عبدالله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة: عثمان ابن عامر؛ وقد أتى النبي ﷺ بنفسه عثمان بعد فتح مكة، وكان شيخًا كبيرًا، فأسلم رضي الله عنه.

- ومن الصبيان: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ومن النساء: زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي أول من أسلم مطلقاً.
- ومن الموالي: زيد بن حارثة رضي الله عنه، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ومن العبيد: بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥- الدعوة إلى الإسلام خفية.

لما نزلت سورة المدثر؛ وفيها قوله تعالى: ﴿فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]، كان ذلك إعلاماً برسالته صلى الله عليه وسلم، فصار يدعو الناس سرّاً، واستمر صلى الله عليه وسلم على ذلك ثلاث سنين - لعدم الأمر بالإظهار - يدعو من توسم فيهم خيراً، ممن عرفوا فيما بعد بالسابقين الأولين؛ ومن هؤلاء - مثلاً لا حصراً -: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبید الله؛ هذا فضلاً عمّن تقدّم ذكرهم من أوائل من آمن، رضي الله عنهم أجمعين. أسلم هؤلاء جميعاً سرّاً؛ يجتمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرشدهم إلى الدين متخفياً، في دار أحدهم وهو الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه.

٦- الصلاة قبل فرضها خمسة ليلة الإسراء.

قال ابن حجر في "الفتح": (كان رسول الله يصلي قطعاً - أي: قبل فرض الصلاة خمسة - وكذلك أصحابه، لكن اختلف: هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات، أم لا؟ فقليل: إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها).

٧- قريش ترصد عن بُغدي أنباء الدعوة.

في تلك المرحلة السريّة، كانت بعض أنباء المسلمين تبلغ قريشًا، إلا أنها لم تُعر ذلك مزيدَ اهتمام؛ حيث لم يكن في حسابها أن الدعوة الجديدة ستلقى ذلك القبول الواسع.

٨- الجهر بالدعوة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢١٤]، وقال سبحانه: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

امتثل النبي ﷺ لأمر ربّه في إظهار دعوة الإسلام، وقد رتب عليه الصلاة والسلام أولويات إعلان دعوته - في السنة الرابعة من مبعثه - مبتدئًا بخاصّة أهل بيته، ثم بعشيرته الأقربين، ومن بعدهم سائر بطون قريش، ثم باقي القبائل، ثم إلى الناس بعامة.

- قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢١٤]، قام رسول الله ﷺ على جبل الصفا، فقال: «يا فاطمة بنت محمّد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم» [مسلم].

- جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فصنع لهم مُدًّا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو، كأنه لم يُمسّ! ثم دعا بعمير (أي: قَدَح)، فشربوا منه حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يُمسّ، أو لم يُشرب! فقال: «يا بني عبد المطلب، إني بُعثت لكم خاصّة، وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية (أي: الأمر العجيب) ما رأيتم، فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟» فلم يقم إليه أحد! حتى

قام عليٌّ رضي الله عنه، وكان أصغر القوم، فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، حتى ضرب في المرة الثالثة على يد عليٍّ - أي قبلَ منه البيعة - [أحمد في "مسنده"].

- ودعا عليه الصلاة والسلام قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ في دعوتهم؛ فقال: يا بني كعبِ بنِ لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مُرَّة بنِ كعبِ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمسٍ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد منافٍ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمةً سأبُلُّها ببِلالها» [متفق عليه]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «سأبُلُّها ببِلالها»، أي: سأصلُّها؛ شُبِّهت قطيعةُ الرَّحِمِ بالحرارة، وشُبِّه وَصْلُهَا بإطفاء الحرارة ببرودة. "شرح مسلم" للنووي.

- وصعد عليه الصلاة والسلام على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مُصدِّقي؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ إلى آخر سورة المسد [متفق عليه].

استمر بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعلان دعوته، لا يصرفه عن ذلك صارف، يدعو الناس في مجامعهم، ومواسمهم، وأسواقهم، وتجمُّعهم

في مواقف حجّهم؛ لا يفرّق بين حرّ وعبد، وغنيّ وفقير، ووجيه ووضيع، من خاصّة القوم أو عامّتهم؛ يدعو الناس جماعات وفردى، إلى توحيد الله تعالى، كلُّهم عنده سواء؛ داعياً محبباً مشفقاً، حريصاً على تخليص الناس من النار.

٩- تنوُّع وسائل قريش في محاربة الدعوة.

أدرك مشركو قريش خطورة ما يدعو إليه الرسول ﷺ، فهو - من جهة نظرهم - ينقض زعامتهم الدينية، ووجاهتهم الاجتماعية؛ وحُسن رأيهم، ويُبطل مبتدعاتهم في عقائدهم وعباداتهم وأنساكهم! فأعلنوها عندئذ حرباً لا هوادة فيها، ولم يدعوا وسيلة في ذلك إلا اعتمدوها؛ ومن ذلك:

● الأذية قولاً وفعلاً.

أما القول السيئ؛ فأول من سنّه أبو لهب - تبّت يداه وتبّ - وذلك في قوله: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ ثم إن قريشاً سمّوا رسولَ الله ﷺ: مذمّماً بدل محمّد، وتجرؤوا على شتمه، وأدّعوا كونه شاعراً، أو مجنوناً، أو كاهناً، أو ساحراً، وسمّوا أتباعه: صابئة، وذلك اللفظ - في عرفهم - يعني: خارجين عن الدين!!

قال عليه الصلاة والسلام: «ألا تعجبون كيف يصرفُ اللهُ عني شتم قريشٍ ولعنهم؟! يشتمون مذمّماً، ويلعنون مذمّماً، وأنا محمّد» [البخاري].

وأما الأذى الفعلي؛ فمن أشدّ ذلك:

- ما سنّته حمّالة الحطب، امرأة أبي لهب، العوراء، أمّ جميل أروى بنت حرب (وهي أخت أبي سفيان رضي الله عنه)؛ حيث «أقبلت لما نزلت سورة

المسد، وهي تُؤلِّوْل، وفي يدها فِهْرٌ (أي: حَجْرٌ يَمَلَأُ كَفَّهَا)، قائلة:

مذَمَّمًا أَبِينَا ودينه قَلِينَا وأمره عَصِينَا

والنبيُّ ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبَلْتُ، وأنا أخاف أن تراك! فقال عليه الصلاة والسلام: «إنها لن تراني»، وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فوقفَتْ على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ! فقالت: يا أبا بكر إني أُخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا، وربُّ هذا البيت، ما هجاك، فولَّت وهي تقول: قد عَلِمْتُ قريشُ أني بنت سيِّدها (تعني: حربَ بنِ أميَّة) [الحاكم في "مستدركه"، وصحَّحه، ووافقه الذهبي].

- «بينا النبيُّ ﷺ يصلِّي في حِجْرِ الكعبة، إذ أقبل عقبه بن أبي مُعَيْطٍ، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبيِّ ﷺ وهو يقول: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] [البخاري].

- «بينما كان رسول الله ﷺ ساجدًا عند الكعبة، وجَمَعُ من قريش في مجالسهم، قام عمرو بن هشام بن المغيرة (وهو المكنى بأبي جهل، أو أبي الحَكَم)، قام بإلقاء فَرثٍ جَزُورٍ ودمها وسلاها (أي: أوساخ ناقة مذبوحة؛ من أمعاء ودم ومَشِيمَةٍ) بين كَتفي النبيِّ ﷺ، فثبت عليه الصلاة والسلام ساجدًا، فضحك القوم حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فأتت فاطمة رضي الله عنها، فألقته عنه؛ فلما قضى رسول الله ﷺ صلواته دعا عليهم: «اللَّهُمَّ عليك بقريش، اللهم عليك بقريش»، ثم سمَّى: «اللَّهُمَّ عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة،

والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعَيْطٍ، وعُمارة بن الوليد». فاستُجِبت دعوة النبي ﷺ؛ حيث قُتل هؤلاء جميعًا يوم بدر، ثم سُحبوا إلى قليب - بئر - بدر، فألقوا فيه، فقال رسول الله ﷺ عندها: «وَأَتْبَعَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةَ» [متفق عليه].

- «بينما النبي ﷺ يصلي، تقدّم أبو جهل - قبحه الله - زاعمًا لَيْطَانٌ على رقبتة!! والقوم ينظرون، ففوجئوا بأن أبا جهل يرجع متقهقرًا إلى الوراء رافعًا يديه يحمي بهما وجهه! فقيل له: ما لك؟! قال: إن بيني وبينه لَخَنْدَقًا من نار، وهَوْلًا، وأجنحة! فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا» [البخاري "مختصرًا، و"مسلم" بتمامه].

- لما اشتد أذى المشركين على مستضعفي المسلمين، أتى خبّاب بن الأَرْتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يشكو ذلك لرسول الله ﷺ، قائلاً: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام - مثبتًا لهم، ومصبرًا، ومعلمًا -: «كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمشار - المنشار - فيوضع على رأسه فيشَقُّ باثنتين، وما يصُدُّه ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم، أو عَصَب، وما يصُدُّه ذلك عن دينه، وَلَيَتَمَنَّ اللهُ هذا الأمر، حتى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت - تقدّر هذه المسافة بثمانمائة كلم تقريبًا، والمراد المبالغة في قدرها - لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» [البخاري].

● محاولات للتفاوض.

لما علمت قريش أن التنكيل بالمسلمين لم يزد هؤلاء إلا تمسُّكًا بما هم عليه، رأت عندئذ مفاوضة الرسول ﷺ، فبعثت أبا الوليد عتبة بن ربيعة - وهو أحد الذين آذوا رسول الله ﷺ كما تقدّم آنفًا، وكان عالمًا بالسحر والكهانة والشعر - بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ، في محاولة يائسة لإقناعه بالتوقف عن دعوته، فلما جاءه عَرَضَ عليه الرئاسة، والمُلْك، والطبابة بالرقية إن كان النبي ﷺ يشكو غلبة شيطان عليه!! فلما فرغ عتبة مما عنده، قال عليه الصلاة والسلام له: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟»، قال: نعم، فتلا رسول الله ﷺ مطلع سورة فُصِّلَتْ: ﴿حَمْدٌ لِلَّهِ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَذَّبُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فُصِّلَتْ: ١-٣] إلى أن بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصِّلَتْ: ١٣]، فقال عتبة: حَسْبُكَ، ما عندك غير هذا؟ قال: «لا». فرجع إلى قومه، مستعظمًا ما سمع، حتى قال: ما فهمت شيئًا مما قال! غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلامًا ما سمعتُ أذُنًاي كلامًا مثله، ما دَرَيْتُ ما أَرَدُّ عليه! قالوا: سَحَرَكَ يا أبا الوليد، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم [صَحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، كما أخرجه عبد بن حميد في "مسنده"].

- مشت قريش بعدها إلى أبي طالب، مُحَاوِلَةً الضَّغْطَ أَكْثَرَ لَشَيْبِهِ ﷺ عن دعوته، واطعة أبا طالب بين خيارين كلاهما صعب: إما أن تكفّه عنا، وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه؛ فَعَظَّمَ على أبي طالب فِرَاقَ قومه، ولم تَطِبْ نَفْسُهُ بِخِذْلَانِ ابْنِ أَخِيهِ، فلما كَلَّمَهُ ظَنَّ عليه الصلاة والسلام أن

عمّه قد رأى أن يترك نصرته، فحلّق - عندها - رسول الله ﷺ بصره إلى السماء، ثم قال: «أترَوْن هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: «ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك من أن تُشعلوا منها شعلة! فقال أبو طالب: ما كذَبْنَا ابنُ أخي، فارجعوا. [أبو يعلى في "مسنده"، وحسنه ابن حجر].

● اشتداد الأذى بعد موقف أبي طالب.

لم يكتف أبو طالب بإعلان وقوفه إلى جانب ابن أخيه ﷺ، بل أخذ يحشد أنصاراً له من بطون قريش، فطلب مساندة بطون عبد مناف؛ وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو عبد شمس، وبنو نوفل، فأجابه بنو هاشم، وبنو المطلب، ورفض بنو عبد شمس، وبنو نوفل، كما أن أبا لهب - من بني هاشم - قد تفرّد بالرفض أيضاً.

هذا الانقسام الحادّ في موقف قريش، سوّغ للمشرّكين إيقاع مزيد من الأذى على المسلمين؛ وقد تقدّم ذكر صنوف من ذلك، وكان ممن عُذّب - بوحشية بالغة - بلال بن رباح من قبيل سيده أمية بن خلف، حتى أعتقه منه أبو بكر رضي الله عنه، وفي ذلك قال عنه عمر رضي الله عنه - فيما بعد -: أبو بكر سيّدنا، وأعتق سيّدنا (أي: بلالاً رضي الله عنه) [البخاري]، ومنهم عمّار ابن ياسر وأباه، وأمه سُمَيَّة، حتى وصل الأمر إلى قتل أمّ عمار، وأختيه، ثم والده ياسر، وكان يمرُّ بهم رسول الله ﷺ - وهم يعذّبون - فيقول: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» [الحاكم في "مستدرکه" وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

وكان ممن عُذّب بشدة أيضاً خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه - وكان من سبّى الجاهلية - حيث بالغت سيده أمّ أنمار في تعذيبه؛ واصمة حديدة

محماة بالنار على ظهره، فلم يزد ذلك إلا إيماناً؛ حتى شكا ذلك إلى النبي ﷺ، وقد تقدّم بدليله.

● الاستعانة بيهود في التحقق من النبوة (سؤال تعنت لا تعلم).

قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح؛ فسألوه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) [الإسراء: ٨٥]، فقال يهود - معتدين بأنفسهم - : أوتينا علماً كبيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩) [الكهف: ١٠٩]. [أحمد في "مسنده"، والترمذي في "جامعه" - وحسنه وصححه - وابن حبان في "صحيحه"].

● طلبات تعجيزية !

بالغ المشركون في عنادهم، فتجرؤوا على التفنن في طلب أمور؛ ظناً منهم أنهم يعجزون بذلك رسول الله ﷺ، فلم يجابوا إلى شيء منها البتة.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فنفجر الأنهر خلالها تفجيراً (٩١) أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً (٩٢) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترفى في السماء ولن نؤمن لرؤيتك حتى تنزل علينا كنباً نقرؤه. قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٣) [الإسراء: ٩٠-٩٣].

- كما سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يحول لهم جبل الصفا ذهباً! وأن ينحّي عنهم الجبال فيتوسعوا في زراعتهم! فقال جبريل عليه السلام له: إن

شئت أن تستأنني - تتمهل - بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا؛ فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «بل، أستأنني بهم»، وفي رواية: «قال جبريل: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبًا؛ فمن كفر بعد ذلك منهم أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة، فقال ﷺ: «باب التوبة والرحمة» [الروایتان أخرجهما أحمد في "مسنده"، وجوّد إسنادهما ابن كثير].

فصلوات ربّي وسلامه على صاحب الخلق العظيم، المرسل رحمةً للعالمين.

● الصحيفة الظالمة.

ثلاثة أحداث كبرى فاجأت مشركي قريش: إذن رسول الله ﷺ للمسلمين المضطهدين بالخروج إلى أرض الحبشة، وإيواء ملكها - أصحمة ابن أبجر - لهم، ثم إسلام متلاحق لاثنين من عظماء القوم: حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك في ذي الحجة سنة ست من المبعث، وآخرها: تعاهد بني المطلب وبني هاشم - مؤمنهم وكافرهم - على حماية محمد ﷺ.

عندئذ كانت ردة فعل قريش عنيفة ظالمة؛ حيث اجتمعوا في خيف بني كنانة من وادي المحصب - موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب - اجتمعوا ومعهم حلفاؤهم من كنانة، فتعاقدوا جميعًا، وتقاسموا على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، مقاطعة تامة؛ اقتصادية واجتماعية، حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه!! ثم علّقوا هذه

الصحيفة في جوف الكعبة، إلا أن كاتبها (منصور بن عكرمة) سرعان ما شُلت أصابعه! والله الحمد والمنّة.

دام هذا الحصار الظالم في شِعْبِ بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات، مُبتدأةً بأول يوم من المحرم سنة سبع من البعثة، جاع فيها المسلمون، ولم تكن أقواتهم تأتيهم إلا خفية وتهريبًا! حتى أعلم الله نبيه ﷺ بأن حشرة صغيرة تسمى "الأرضة" قد أكلت جميع ما كُتِبَ في تلك الصحيفة المعلقة في جوف الكعبة إلا اسم الله تعالى؛ فأخبر النبي ﷺ عمّه أبا طالب بذلك، فأتى أبو طالب قريشًا فأخبرهم، واشترط عليهم أن يفكّوا الحصار إن وجدوا ما أخبر به محمدٌ ﷺ حقًا، فلما وجدوا ذلك حقًا فعلوا، وكان ذلك في سنة عشر من المبعث، قبل الهجرة بثلاث سنين.

فائدة: لم يثبت في "الصحيحين" تفصيلٌ لهذه القصة، كما فصلها أهل السير، لكنّ فيهما إشارةٌ إلى حصولها بحديث: «منزلنا غدًا - إن شاء الله - بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر» [متفق عليه]؛ لأن فيه دلالة على أصل القصة، فالذي أورده أهل السير هو كالشرح لها [أفاده ابن حجر في "الفتح"].

وهاك نصّ وثيقة المقاطعة: (باسمك اللهم: على بني هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، ولا يعاملوهم، ولا يخالطوهم في شيء، ولا يكلموهم، حتى يدفعوا إليهم محمدًا فيقتلوه). [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة" لمحمد حميد الله].

١٠- هجرتان قبل الهجرة النبوية.

لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَظِيمَ أُذْيَةِ الْمُشْرِكِينَ لِأَصْحَابِهِ، وَاسْتَضَعَفَهُمْ لَهُمْ، أَذِنَ لَهُمْ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ عَثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ رُقَيْيَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَلَغَ عَدَدَ الْمُهَاجِرِينَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْمَبْعَثِ.

ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ هَؤُلَاءِ الْكِرَامُ أَنَّ حَمْزَةَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَدْ أَسْلَمَا، غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِمْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَارُوا الْآنَ فِي مَنَعَةٍ تَامَةٍ، كَمَا بَلَغَهُمْ أَيْضًا أَنَّ قَرِيشًا قَدْ أَسْلَمَتْ لَمَّا سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو سُورَةَ النَّجْمِ فِي الْحَرَمِ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَمِعَهَا مِنْهُ خَرَّ سَاجِدًا؛ فَلَمَّا بَلَغَ الْمُهَاجِرِينَ تِلْكَ الْأَخْبَارَ بَادَرُوا بِالرَّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ، فِي شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَارَبُوا دَخُولَهَا عَلِمُوا بِأَنَّ خَبَرَ إِسْلَامِ قَرِيشٍ لَمْ يَكُنْ مُوثِقًا، فَرَجَعَ بَعْضُهُمْ، وَدَخَلَ آخَرُونَ مُسْتَحْفِينَ، أَوْ طَالِبِينَ حِمَايَةَ بَعْضٍ مِنْ قَرِيشٍ.

بَعْدَ دُخُولِ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ، اشْتَدَّتْ نَقْمَةُ قَرِيشٍ عَلَى عَمُومِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَالَغُوا فِي أُذْيَتِهِمْ وَالتَّنْكِيلِ بِهِمْ، عِنْدئذٍ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَجْرَةِ مَنْ شَاءَ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْحَبْشَةِ مَرَّةً أُخْرَى؛ فَهَاجَرَ إِلَيْهَا ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا، وَثَمَانُ عَشْرَةَ امْرَأَةً، فِيهِمْ مِنْ جِلَّةِ الصَّحَابَةِ؛ مِنْهُمْ: عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عِنْدَهَا سَارَعَتْ قَرِيشٌ فِي اللَّحَاقِ بِهِمْ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَفْلَحْ فِي إِدْرَاكِهِمْ.

وَصَلَ الْمُهَاجِرُونَ أَرْضَ الْحَبْشَةِ، فَأَكْرَمَ نَزْلَهُمْ مَلِكُهَا الصَّالِحُ النَّجَاشِيُّ أَصْحَمَةَ، فَاغْتَاظَتْ قَرِيشٌ لِذَلِكَ، وَأَرْسَلَتْ رَجُلَيْنِ هُمَا مِنْ

أدهى القوم وأشدّهم قوة؛ عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، مُحَمَّلَيْن بالهدايا المفضّلة عند النجاشيّ وبطارقته (هم كبار رجال الدين، المقرّبون من الملك)، ثم راود رسولاً قريشٍ النجاشيّ ليردّ هؤلاء الفارّين إلى قومهم، وأيد البطارقة هذا المطلب؛ إلا أن حكمة الملك اقتضت أن يسمع أيضاً ممن حضر من الطرف الآخر، فأذن لجعفر رضي الله عنه بالكلام؛ فبيّن للملك وبطارقته صورتين متضادّتين؛ أولاهما: وصفٌ لحال العرب في جاهليّتهم، وما كانوا عليه من شرك، وسوء فاحش، والأخرى: ملخّص لما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله من توحيد وخير عميم، ثم أردف جعفر رضي الله عنه ببيان أن عيسى بن مريم هو عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، عندئذٍ طلب النجاشيّ شيئاً مما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من عند ربّه في هذا الشأن، فتلا عليه جعفر رضي الله عنه مطلع سورة مريم، فبكى النجاشيّ ومن معه، ثم قال قولته المشهورة: إن هذا الكلامَ ليُخْرِجُ من المشكاة - أي: الكوّة، وهي الفُتحة التي لا منفذ لها تكون في جدار البيت كانوا يضعون بها القناديل، والمقصود هنا مصدر النور - التي جاء بها موسى؛ ثم أخذ عوداً، وقال: والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجده مكتوباً عندنا في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشرّ به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم؛ والله لولا ما أنا فيه من المُلْك، لأتيتّه حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضّئه! [رواه أحمد في "مسنده"، وقد ذكرته مختصراً بالمعنى].

١١- عام الحزن (السنة العاشرة من البعثة النبوية).

في شهر رجب من تلك السنة، وبعد ستة أشهر على انفكاك حصارٍ ظالم دام ثلاث سنوات بتمامها، عانى فيه المسلمون ما عانوه، فُجِعَ المسلمون بوفاة عم النبي ﷺ أبي طالب، وحزن عليه الصلاة والسلام لموته حزناً شديداً، ثم توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في رمضان من السنة نفسها، تبع ذلك اشتداد أذى المشركين؛ حيث اعتبروا وفاة أبي طالب - وهو الذي كان يقف حائلاً بينهم وبين أذية ابن أخيه - فرصةً سانحةً للانقضاض على المسلمين، والتجرؤ حتى على رسول الله ﷺ؛ قال عليه الصلاة والسلام: «ما زالت قريش كاعّة عني - أي تجبن عن أذيتي - حتى توفي أبو طالب» [أخرجه الحاكم في "مستدرکه"، وصححه على شرط الشيخين، لكن الألباني في "صحيح السيرة" تعقبه، فجود إسناده وحسب].

إضاءة دعوية: أبو طالب لم يُسلم؛ ما يدلُّ على الآتي:

- حرص الداعية إلى الله على خير المدعو، ومحبته له، وقرابته منه، ليس كلُّ ذلك مؤثراً إلا في حال القبول المبدئي لدى المدعو للدعوة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القَصص: ٥٦]؛ والآية لم يختلف العلماء في أنها نزلت في أبي طالب، كما ثبت في الصحيحين.
- عظيم مضرة أصحاب السوء، ومدى تأثر الإنسان بهوى صاحبه؛ فأنت ترى كيف ناصر أبو طالب النبي ﷺ وأحاطه بعنايته، وكان يرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، وينافح عنه، كما أنه صبر معه في حصار الشعب ثلاث سنين، ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام حرص على إسلامه، أليس من

المستغرب جداً - بعد ذلك كله - أن يختار أبو طالب ملة أصحابه؟! وأن يأبى الدخول في دين ابن أخيه ﷺ، الذي أحبه، وتيقن صدقه، وعادى الناس لأجله؟!!

وتعليل ذلك من وجوه:

- أن الهداية لا تكون بالإرشاد فقط، إنما بالتوفيق لها من الله تعالى.
- أن الحمية للجو العام الذي نشأ عليه المرء، وتوارثه عن سلفه، هو أمر في غاية التأثير على قراراته، حتى لو كانت مصيرية.
- أن حبّ الوجهة قد يغلب على الإنسان حتى ينسيه نفسه!

١٢- خروج أبي بكر ﷺ مهاجراً إلى الحبشة.

نظراً لاشتداد الأذى بدرجة كبيرة، فقد قرّر أبو بكر ﷺ الخروج مهاجراً إلى أرض الحبشة، وخرج فعلاً، حتى إذا وصل برّك الغماد - منطقة تبعد مسافة خمس ليال من مكة باتجاه اليمن - لقيه أحد وجهاء قبيلة القارة، ويدعى: ابن الدغنة، وأشار عليه بالرجوع بقوله: إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، وأنا لك جار - أي أنت في حمايتي فلن تنالك قريش بأذى - فرجع أبو بكر ورافقه ابن الدغنة، وتوسّط الأخير لدى قريش، فقبل وجهها وساطته على أن يلتزم أبو بكر منزله في عبادته؛ فلبث بعدها أبو بكر يعبد ربّه في داره، ثم بدا له أن يبتني مسجداً بفناء داره، ففعل وصار يصلي فيه، فتهافت على سماع صوته - في حُسن تلاوته، وبكائه فيها - عدد غير يسير من أبناء قريش ونسائهم، فاعترضت قريش عند ابن الدغنة على ذلك، فخير ابن الدغنة أبا بكر بين

التزام بيته أو الخروج من ذمته! فقال أبو بكر - بعزة المؤمن - : فإني أردُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عزَّ وجلَّ [البخاري].

١٣- دعوة ثقيف (أهل الطائف).

في شهر شوال من السنة العاشرة نفسها، التي اشتد فيها أذى المشركين، أراد النبي ﷺ أن يوسِّع دائرة دعوته، متجاوزاً حدود قريش الراضين المعاندين، فخرج ماشياً إلى مدينة الطائف - وهي تقع على مائة كيلاً، شرقي مكة مع ميلٍ قليلٍ إلى الجنوب - عارضاً نفسه على أهلها من قبيلة ثقيف، آملاً أن يجد فيهم من يقبل دعوته، أو يناصره، إلا أن الأمر كان بخلاف المرجوِّ تماماً؛ حيث ناله ﷺ من الأذى، ما اعتبره أشدَّ ما ناله في جميع حياته!

سألت عائشة رضيها الله عنهما رسولَ الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحد؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة» - وهي عقبة وادي منى، وحده الغربيُّ - «إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال» - واسمه مسعود، وكان هو وإخوته من أكابر أهل الطائف من ثقيف - «فلم يُجِبنِي إلى ما أردت؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق» - أي: لم يتنبَّه للموضع الذي هو ذاهب إليه، لكثرة همِّه ﷺ - «إلا وأنا بقرن الثعالب» - موضع على طريق الطائف من مكة يبعد عن الطائف ثلاثة وخمسين كيلاً - «فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم؛ فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمَّد، فقال: ذلك فيما شئتَ؛ إن شئتَ أن

أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ» - هما جبلا مكة: أبو قُبَيْسٍ، والجبل الذي يقابله: قُعَيْقَعَان - فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [متفق عليه].

فائدة: مكث عليه الصلاة والسلام في الطائف يدعو أهلها عشرة أيام [أفاده ابن سعد في " الطبقات "].

إضاءة دعويّة:

- الداعية لا همّ له سوى تحقيق الخير لمن يدعوهُ.
- الداعية رفيق بمن يدعوهُ ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
- العبرة بالدعوة بالنتيجة المستقبلية، لا بحاضر الحال؛ حيث أقبل أهل الطائف مسلمين سنة عشر للهجرة؛ ومن ذريتهم اليوم - كما رجا عليه الصلاة والسلام «من أصلابهم» - من خير المؤمنين الموحّدين، الداعين إلى الله تعالى.
- الداعية يوطّن نفسه لمواجهة أسوأ الاحتمالات.
- الداعية يؤذيه ردُّ دعوته، والهزء به، أكثر مما يؤذيه محاربتة، وحتى التعرض لقتله!

١٤- إسلام جنّ نصيبين، بعد أن أبى إنس الطائف!

قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١-٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وفي الحديث: «وإنه أتاني وفد جنّ نصيبين - ونعم الجنّ - فسألوني الزاد»

أي: فيما يُفْضَلُ عن الإنس، «فدعوت الله لهم أن لا يمرُّوا بعظم ولا رَوْثَةً إلا وجدوا عليها طعاماً» [متفق عليه، واللفظ للبخاري]، ونصيبين: مدينة عامرة في أقصى شمال الجزيرة الفُراتيَّة، تجاور مدينة القامشلي السورية، لكنها داخله في الحدود التركية [المعالم الأثيرة" لمحمد شُرَّاب]، وهي على طريق القوافل من الموصل إلى الشام [معجم البلدان" لياقوت الحموي].

١٥- مَرْجِعُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ، وَالْمَوْقِفُ الشَّجَاعُ لِمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ.

قال عليه الصلاة والسلام - في حقِّ أسارى بدر من المشركين - : «لو كان المُطْعِمُ بِنُ عَدِيِّ حَيًّا، ثم كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» [البخاري]، والمعنى: أن للمُطْعِمِ صنيعَ معروفٍ معي، وهو يستأهل بذلك أنه لو طلب مني الآن أن أترك أسارى بدر - وكانوا سبعين أسيراً - بغير فداء لتركتهم؛ اعترافاً بحسن صنيعه.

وصنيع المعروف هذا: أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف، بعد أن رفض أهلها ثقيف مناصرته، وأراد دخول مكة، أبى أهلها السماح له بذلك، فقام المُطْعِمُ يومئذٍ حاملاً سلاحه، يرافقه أربعة من أولاده، فوقف كلُّ من أولاده عند ركن من أركان الكعبة، يتحدّون قريشاً بأن النبي ﷺ في جوارهم وحمائتهم، فخشيت قريش يومئذٍ، وقالوا للمُطْعِمِ: أنت الرجل الذي لا تُخْفِرُ ذِمَّتَهُ، أي: لا يؤذى من أدخلته في حمايتك.

والمطعم بن عدِيٍّ - للأسف - لم يُسلم، وتوفي قبل وقعة بدر، وله بضع وتسعون سنة، وهو والد الصحابي المشهور جبير بن مطعم رضي الله عنه [ذكره ابن حجر في "الفتح"].

إضاءة دعويّة: المسلم الحقُّ يتّصف بالإنصاف والعدل، ويحفظ لأهل المعروف معروفهم، ولو كان هؤلاء يخالفونه في اعتقاده.

١٦- النبي ﷺ يعرض الإسلام على قبائل العرب.

لما قدم رسول الله ﷺ مكة، وتيقن بأن قريشاً - على قربهم في العشيرة - هم أشدُّ الناس في عداوته، ورَفُضَ ما جاء به! تحين عليه الصلاة والسلام إذ ذاك المواسم التي كانت تجتمع فيها قبائل العرب في مكة - من حجٍّ وغيره - وصار يدعوهم فيها لنصرته، وتأمينه لديهم، وإفساح المجال له ليلبّغهم ما أرسل به، إلا أن أحداً من تلك القبائل لم يقبل بذلك، وتمسكوا هم الآخرون بما توارثوه عن أسلافهم.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموسم، فيقول: «ألا رجلٌ يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربّي» [أخرجه أحمد في "مسنده"، والترمذي في "جامعه"، وحسنه وصحّحه، كما صحّحه ابن جبان].

١٧- الإسراء والمعراج.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [التجم: ١٣-١٨].

هذا، وقد تواترت الروايات في حصول الإسراء والمعراج لنبينا ﷺ، عن جمٍّ غفير من الصحابة رضوان الله عليهم؛ وليس المقام هنا يسمح

باستقصائها، وقد ذكرها مجتمعة - بطرقها المتعددة، حتى بلغت خمس عشرة رواية - ابنُ كثير في "تفسيره"؛ وقد اخترت أن أُورد هنا بعضَ رواياتٍ صحَّحت في شأن رحلة الإسراء إلى بيت المقدس، وبعدها المعراج إلى السماء، كما أُورد بعضَ ما أُريه عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة المباركة، ثم أتبعُ ذلك كلَّه بحكاية مُجمل أحداث تلك الليلة المباركة، بأسلوب ميسر، وهي مستنتجة من مجموع تلك الروايات، وغيرها مما ثبت.

قال عليه الصلاة والسلام: «أتيت بالبراق» (وهو دابةٌ أبيضٌ طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه)، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»، قال: «فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ﷺ (أي: يربطون خظام دوابهم - كما جاء مبيناً في الصحيح - وفي ذلك إشارة أيضاً إلى أن ركوب البراق للإسراء غير مختص بنبينا ﷺ)، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء» [مسلم].

وقال ﷺ: «فحملتُ عليه (أي: البراق)، فانطلق بي جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء؛ فأتيتُ على آدم فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابنِ نبيِّ، فأتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء؛ فأتيتُ على عيسى ويحيى، فقالا:

مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فأتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبًا، ولنعم المجيءُ جاء، فأتيْتُ يوسف فسَلَّمْتُ عليه، قال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فأتينا إلى السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء، فأتيْتُ على إدريس فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء، فأتينا على هارون فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء، فأتيْتُ على موسى، فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فلمَّا جاوزتُ بكى، فقيل: ما أبكاك؟ فقال: يا ربِّ، هذا الغلامُ الذي بُعث من بعدي يدخل الجنة من أُمَّته أفضلُ مما يدخل من أُمَّتي، فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء، فأتيْتُ على إبراهيم فسَلَّمْتُ عليه، فقال: مرحبًا بك من ابنٍ ونبيٍّ، فرفَع لي البيت المعمور، فسألْتُ جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كلُّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخرَ ما عليهم، ورفَعْتُ لي سِدْرَةَ المنتهى، فإذا نَبَقُها (أي: ثمرها) كأنه قِلاَلٌ هَجَرَ (أي الأوعية العظيمة

التي يحفظ بها الماء وينقل، والمصنوعة في قرية هَجْر؛ وهي من قرى المدينة، وليست هجر التي في اليمن، أو في البحرين)، وورقها كأنه آذان الفيول، وفي أصلها (أي: في أصل سدرة المنتهى) أربعة أنهار؛ نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفُرات، ثم فُرِضَتْ عليَّ خمسون صلاةً، فأقبلتُ حتى جئتُ موسى، فقال: ما صنعتَ؟ قلت: فُرِضَتْ عليَّ خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، وإن أُمَّتَكَ لا تُطِيق، فارجع إلى ربِّكَ فسأله (أي: التخفيف)، فرجعت فسألتُه، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثلاثين، ثم مثله، فجعل عشرين، ثم مثله، فجعل عشراً، فأتيت موسى فقال مثله، فجعلها خمسا، فأتيت موسى، فقال: ما صنعتَ؟ قلت: جَعَلَهَا خَمْسًا، فقال مثله! قلت: سَلَّمْتُ بخير، فنودي: إني قد أمضيتُ فريضتي، وخففتُ عن عبادي، وأجزيتُ الحسنَةَ عشراً» [متفق عليه].

وقال عليه الصلاة والسلام: «رأيت ليلة أُسري بي موسى: رجلاً آدم (أي: أسمر)، طويلاً جعداً (أي: طويل القامة، وفيه التواء وتقبُّض بشعره)، كأنه من رجال شَنْوَةَ (وهي قبيلة من قحطان اشتهر رجالها بطول أجسامهم وسمرة بشرتهم)، ورأيت عيسى رجلاً مربعاً (أي: لا طويلاً ولا قصيراً) مربع الخلق إلى الحمرة والبياض (أي: لون بشرته مائلاً قليلاً إلى البياض والحمرة، لا شديدهما)، سَبَطَ الرأس (أي: مسترسل الشعر)، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «وأنا أشبهُ وُلْدِ إبراهيمَ به» [متفق عليه].

تلك كانت آيات كريمات، وبعض رواياتٍ صحّت بشأن الإسراء والمعراج، وهاك ملخّصًا يسير العبارة، مستفادًا - بمجمله - من "تفسير ابن كثير"، مضافًا إليه من معاني روايات ثبتت بشأن تلك الليلة المباركة:

لقد أتمّ الله سبحانه - وفي ليلة واحدة - لنبيّه ﷺ انفراجًا لسقف بيته في مكة، ونزولًا لجبريل ﷺ، ومرافقته للنبي ﷺ - يقظة لا منامًا، بالروح والجسد - إلى حجر إسماعيل من الكعبة، حيث اضطجع عليه الصلاة والسلام، فشقّ جبريلُ ﷺ صدرَ النبي ﷺ هناك، وغسل قلبه بماء زمزم، وملاه بالإيمان والحكمة، ثم لأم ذلك الشق! ثم أتاه جبريل ﷺ بمركوب عجيب، سيره أسرع من البرق، فإذا نظر إلى شيء وضع قوائمه عنده حالًا! فاعتلاه ﷺ، وبلمح البصر سرعان ما بلغ به بيت المقدس (المسجد الأقصى في القدس)؛ حيث ربط عليه الصلاة والسلام خِطام البراق (أي: زمامه) في موضع حلقة يعرفها؛ كان الأنبياء ﷺ يربطون عندها خِطام دوابهم، ثم صلّى في المسجد ركعتين، ثم عرض عليه جبريل ﷺ إنائين؛ أحدهما فيه لبن، والآخر فيه خمر، فاختر عليه الصلاة والسلام إناء اللبن، ثم بدأت رحلة السماء، وفي أولى السماوات كان اللقاء مع آدم ﷺ، وفي الثانية مع عيسى ويحيى ﷺ، وفي الثالثة مع يوسف ﷺ، وفي الرابعة مع إدريس ﷺ، وفي الخامسة مع هارون ﷺ، وفي السادسة مع موسى ﷺ، وفي السابعة مع إبراهيم ﷺ، ثم كُشف للنبي ﷺ البيت المعمور، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]، وأعلّمه جبريل ﷺ أن هذا البيت يصلّي فيه كلّ يوم سبعون ألف ملك،

لا يعودون إليه؛ ففي كل يوم يدخل سبعون ألفاً آخرون!! لذلك سُمِّيَ بالمعمور لكثرة من يَعْمُرُهُ ويدخله من الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد رأى أبا الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ باني الكعبة الأرضية، وهو مسند ظهره لهذا البيت المعمور باعتباره الكعبة السماوية، ثم كُشف له عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن شجرة سِدْرٍ عظيمة - وهي في السماء السابعة - عجيبة المظهر والمخبر، أما مظهرها فإن لها ثماراً ضخمة؛ كلُّ منها في حجم إناء كبير من آنية حفظ الماء التي تُنقل للتزوُّد بها في الأسفار! وأما ورقها فضخم يشبه آذان الفيلة! وفي أصلها الضخم، تجري أربعة أنهار؛ في ظاهرها أصل نهري النيل والفُرات، وفي داخلها يجري نهران عظيمان من أنهار الجنة!

إنها سدرة المنتهى: تلك الشجرة العجيبة البالغة النهاية في الحُسن، التي لا تَثْبُتُ بمظهر واحد دوماً؛ حيث يغطيها ويسترها - بأمر الله وبقدرته - أشياء، «فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حُسْنِهَا» [متفق عليه]؛ ومن تلك الأشياء التي تغطيها: ألوان مختلفة، «فغشيها ألوان ما أدري ما هي» [متفق عليه]، و«فَراشٌ من ذهب» [مسلم].

هذا جميعه شيء من مظهر تلك الشجرة العجيبة!

أما حقيقتها ومخبرها: فهي شجرة - كما وصفها ابن مسعود رضي الله عنه - «ينتهي إليها ما يُعْرَجُ به من الأرض، فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ به من فوقها، فيُقْبَضُ منها» [مسلم]. إذاً إلى تلك الشجرة تنتهي علوم الخلائق صعوداً ونزولاً؛ فيجتمع كلُّ ذلك عندها!

ورأى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند تلك الشجرة جبريل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على صورته التي خلق عليها، وعليه ست مائة جناح، ينثر من ريشه التهاويل؛ الدرّ والياقوت،

كما رأى الجنة والنار، وفرض الله عليه الصلوات خمسين، ثم خففها سبحانه - رحمة منه وتلطفاً بعباده - إلى خمس، وفي فرضها تلك الليلة اعتناء عظيم بشرفها وعظمتها، ثم هبط ﷺ إلى البيت المقدس، وهبط معه الأنبياء ﷺ فصلّى بهم فيه صلاة الصبح؛ وفي ذلك إظهار لشرفه ﷺ وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل ﷺ له في ذلك، ثم خرج من بيت المقدس، فركب البراق وعاد إلى مكة المكرمة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

مسألة: ما الحكمة في جمع الأنبياء ﷺ في المسجد الأقصى، وصلاة رسولنا ﷺ بهم جميعاً إماماً؟

قال ابن كثير في "تفسيره": بيت المقدس الذي هو إيلياء، معدن الأنبياء (أي: مكان إقامتهم جميعاً) من لدن إبراهيم الخليل، ولهذا جمِعوا له كلُّهم، فأَمَّهُمْ في مَحَلَّتِهِمْ ودارهم، فدلَّ على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

نكتفي بهذا القدر في شأن حادثة الإسراء والمعراج، على المُكْرَم بها أزكى الصلاة وأتم السلام.

١٨- تعيين أوقات الصلوات الخمس.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (١٢٣) [النساء: ١٠٣]، وقال ﷺ: «أَمَّنِي جبريل ﷺ عند البيت مرتين؛ فصلّى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك، ثم صلّى العصر حين كان كلُّ شيء مثل ظلّه، ثم صلّى المغرب حين وجبت الشمس (أي: غابت)، وأفطر الصائم، ثم صلّى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلّى الفجر حين برق الفجر وحرّم الطعام على الصائم.

وصلّى المرة الثانية الظهر حين كان ظلُّ كلِّ شيءٍ مثله، لوقت العصر بالأمس، ثم صلّى العصر حين كان ظلُّ كلِّ شيءٍ مثليه، ثم صلّى المغرب لوقته الأول، ثم صلّى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل، ثم صلّى الصبح حين أسفرت الأرض.

ثم التفت إليّ جبريل، فقال: يا محمدُ هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت فيما بين هذين الوقتين» [أخرجه أحمد في "مسنده"، وأبو داود، والترمذي وصحّحه، وابن خزيمة في "صحيحه"].

١٩- موقف قريش من الإسراء والمعراج.

لم يكن متوقّعا - بالطبع - أن تُدعِنَ قريش فتصدّق حادثة الإسراء والمعراج، وهم الذين كذبوا واستهزؤا وأذوا وبالغوا في العداوة، لذا فقد طلب هؤلاء علامة تعجيزية تُثبت حصول ذلك: صف لنا يا محمد المسجد الأقصى! وفي ذلك يقول ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر (حجر إسماعيل عليه السلام) وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُنبتّها، فكُرِبْتُ كُرْبَةً ما كُرِبْتُ مثله قط»، قال: «فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به» [مسلم].

ويقول ﷺ: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطففتُ أخبرهم عن آياته - أي: أصف لهم معالمه - وأنا أنظر إليه» [متفق عليه].

قال أبو سلمة رضي الله عنه: (افتتن ناس كثير عقب الإسراء، فجاء ناس إلى أبي بكر، فذكروا له ذلك، فقال: أشهد أنه صادق، فقالوا: أو تصدّقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟! قال: نعم، إنني أصدّقه

بأبعدَ من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء). ثم قال - أبو سلمة رضي الله عنه - :
 (فسمِّي بذلك الصِّديق) [ذكره البيهقي في "الدلائل"، وأخرجه الحاكم من حديث
 عائشة رضي الله عنها، وصحَّحه، ووافقه الذهبي].

فائدة: أول من سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن وصف بيت المقدس: الساعي
 بالشرِّ دومًا، عدوُّ الله أبو جهل - عمرو بن هشام - ثم أتى بقومه بعدها
 ليسمعوا فيكذبوا! [أفاده ابن حجر في "الفتح"].

٢٠- **مقدمات الهجرة النبويَّة؛ ومن ذلك:**

أ- رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم أرضَ الهجرة؛ قال عليه الصلاة والسلام:
 «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهب وهلي
 - أي: غلب على ظني - إلى أنها اليمامة أو هَجْر، فإذا هي المدينة:
 يَثْرِب» [متفق عليه].

ب- توالي اللقاءات مع وفادات من أهل المدينة، قبل بيعتي العقبة؛
 وهذه اللقاءات كانت كالتمهيد لحصول بيعتي العقبة، وكانت: مع سويد
 ابن الصامت الأوسي، وأبي الحيسر أنس بن رافع الأشهلي، ومع النفر
 الستة من الخزرج؛ أسعد بن زُرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن
 مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبدالله بن رئاب -
 وهو غير جابر بن عبدالله بن حرام الصحابي المشهور - وهؤلاء جميعًا
 أسلموا، وكانوا نواةً للأنصار، وخيرَ دعاةٍ لقومهم إلى الإسلام رضي الله عنهم.

ج- بيعتنا العقبة؛ بعد دعوة أولئك النفر الكرام قومهم في المدينة،
 فشا أمر الإسلام فيها، ولم يبق دار من دُور قومهم إلا فيها ذُكرُ
 رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الموسم في العام المقبل - لاثنتي عشرة

سنة من البعثة - أقبل على النبي ﷺ اثنا عشر رجلاً من الأنصار؛ هم نفر الستة من الخزرج أنفؤ الذكر، ومعهم ذكوان بن عبد قيس، وعبادة ابن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، والعباس بن عبادة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة رضي الله عنه؛ هؤلاء هم من بايع بيعة العقبة الأولى؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام لهم: «تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف؛ فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: فبايعناه على ذلك [متفق عليه].

وتلحظ هنا - أخي القارئ - تشابه أركان هذه البيعة، مع أركان بيعة النساء، التي جاءت في آخر سورة الممتحنة؛ لذلك يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أخذ علينا رسول الله ﷺ بيعة النساء، كما أخذ على النساء [مسلم].

أما بيعة العقبة الثانية؛ فكانت في آخر سنة من العهد المكي، سنة ثلاثة عشر من المبعث؛ فبيل السنة الأولى من الهجرة النبوية، وفيها يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم [متفق عليه]. وكما تلحظ أيضاً - أخي القارئ - أن بنود هذه البيعة تدل على أنها بيعة على الحرب والنصرة.

أما عدد المبايعين في بيعة الحرب هذه؛ فقد جاء عند ابن إسحاق في "سيرته" - في رواية مطوّلة، إسناده حسن، وقد أخرجها أحمد في "مسنده"، وصحّح إسناده ابن حجر في "الإصابة" - أنهم بلغوا ثلاثة وسبعين، معهم امرأتان من نسائهم: نسيبة بنت كعب (أم عمارة)، وأسماء بنت عمرو (أم منيع)، رضي الله عنهم أجمعين.

أما الرجال المبايعون، فقد ذكر بعضهم في "الصحيحين"؛ منهم: عبادة بن الصامت، وجابر بن عبدالله، وأبوه، وخالاه، ورافع بن مالك، وسمّى جميع المبايعين - في العقبتين الأولى والثانية - ابن إسحاق، في "سيرته"، وقد نبّه ابن سيّد الناس في "عيون الأثر" إلى أن عددهم معروف: فهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، لكن وقع اختلاف في أسماء من شهد تلك البيعة.

فائدة: إذا قيل بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية؛ فالأولى والثانية صفتان لزمان وقوع البيعة، وليستا للعقبة؛ فالعقبة - عقبة منى - مكان واحد [أفاده محمد شرّاب في "المعالم الأثيرة في السّنة والسيرة"].

د- يوم بُعث؛ إن من الأسباب المهمة - التي انفرد الإمام البخاريّ بذكرها - لتهيئة الأنصار أوّسهم وخزرجهم، لقبول الإسلام، ولتكون سبباً للهجرة إلى المدينة: حرب بُعث، التي وقعت بين الأوس والخزرج في يثرب، قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح - كما ذكره ابن حجر في "الفتح" - وقد قُتل في هذه الموقعة أكابر القبيلتين؛ فكانوا بعدها بأشد الحاجة لمن يجمع شملهم. أما سبب هذه الحرب - باختصار - فهي: أن رجلاً من الأوس قتل حليفاً للخزرج، فأرادت

الخزرج أن يقتصوا منه بقتله، فمنعتهم الأوس؛ حيث إن القاعدة المقررة عندهم كانت: أن الأصيل المتحالف لا يُقتل بحليفه؛ فوعدت إذ ذاك الموقعة بينهم [الكامل في التاريخ " لابن الأثير - مختصراً]

قالت عائشة رضي الله عنها: كان يوم بُعِثَ يوماً قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وقد افترق ملأؤهم، وقُتِلت سرواتهم (أي: زعمائهم)، وجرحوا؛ فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الإسلام [الأثر ذكره البخاري].

تلك أمور أربعة، كانت أسباباً مقدّمة لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.



الفصل الثالث

الهجرة النبوية، والسيرة المدنية مرتبة بالسنوات

تمهيد: يعتبر العهد المدني - في السيرة النبوية - نتاجاً للجهود المضنية المبذولة من قبل؛ فلولا مزيد صبر أهل الإسلام على أذى المشركين، وإصرارهم على نصره دينهم، لما أينعت ثمار ذلك في المدينة؛ فالمرحلة المكيّة كانت بمثابة أساس لبناء الدولة الإسلاميّة فيما بعد؛ لذا فقد أدرك المشركون - حال إسلام فريقٍ من أهل يثرب - أن العدّ العكسيّ التنازليّ لسلطانهم قد بدأ، وأن شأن الإسلام صار إلى ظهور مستمر؛ فالمسلمون قد أصبحوا عند أهل يثرب في عزٍّ ومنعةٍ، وبات القضاء عليهم أمراً غير يسير، وأنه لا بد من إعداد العُدّة، والتحالف مع كلِّ متحالف، والتآمر مع كلِّ متآمر، تجمعهم به عداوة للمسلمين؛ ما يفسّر لنا كلَّ الأعمال العسكرية العدائية التي حدثت في العهد المدني؛ بالمقابل، فإن المسلمين في أعمالهم الجهادية لم يكونوا إلا محاولين استرداد ما سلب منهم، مدافعين عن حرمتهم، رادّين كلَّ من تربّص بهم شراً، أو تحالف في عداوتهم.

لذا، فإن الهجرة النبوية تعتبر المفصل الأهم في تاريخ الإسلام، وهي اللبنة الأساس لبنيان دولته في أرضٍ اختار أهلها نصرته.

عليه، سنتعرض في هذا الفصل لمبحثين؛ أولهما: الهجرة النبوية، حتى الاستقرار في المدينة، والثاني: السيرة المدنية (مرتبة بالسنوات)، والله هو المستعان.

أولاً: الهجرة النبوية، حتى الاستقرار في المدينة.

١- الإذن للمسلمين بالهجرة.

قال ﷺ: «إني أريت دار هجرتكم: ذات نخل بين لابَتَيْنِ» [متفق عليه]،
قال الزُّهري: وهما الحَرَّتَانِ.

والحَرَّة: أرضٌ حجارُتها سود، وحَرَّتَا المدينة؛ الشرقية: واقم،
والغربية: الوبرة.

الآن، وقد تعيَّنتِ المدينةُ وَجْهَةً وحيدةً للهجرة، أذنَ النبيُّ ﷺ لعموم
المسلمين بالهجرة إليها، عندها بادر من كان عازماً الهجرة إلى المدينة
فأتَمَّ هجرته إليها، ورجع إلى المدينة بعضٌ من كان هاجر إلى أرض
الحبشة من المسلمين. وكان من السابقين المهاجرين مصعب بن عمير،
وعبدالله بن أمِّ مكتوم الأعمى! وفي ذلك يقول البراء بن عازب رضي الله عنه:
«أول من قَدِمَ علينا من أصحاب النبيِّ ﷺ مصعب بن عمير وابن أمِّ
مكتوم، فجعلنا يُقرئنا القرآن، ثم جاء عمَّار وبلال وسعد - أي: ابن
أبي وقاص - ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبيُّ ﷺ،
فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولاة
والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء» [البخاري].

«وكان الإمام الأول للمهاجرين - في الصلاة، قبل مَقْدَمِ رسول الله ﷺ -
سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، وكان أكثرهم قرآناً» [البخاري].

إضاءة دعوية: إن اختيار مولى ليكون إماماً بالمهاجرين، يُظهر عظمة
الإسلام في مَحْوِهِ للطبقية الاجتماعية.

أما أول من جمّع بالصحابة - صَلَّى بِهِم الجمعة - فقد كان أبو أمامة أسعدُ بنُ زُرارةَ رضي الله عنه، لذا «كان كعب بن مالك رضي الله عنه إذا سمع النداء يوم الجمعة ترخّم لأسعد بن زرارَة، فيقول له ولده عبد الرحمن: لِمَ تفعل ذلك؟ فيقول: لأنه أوّل من جمّع بنا في هَزْمِ النَّبِيِّ (والنبيّ: اسم لقبائل من الأوس، هُزِموا في ذلك الموضع مرّات من الخزرج) من حرّة بني بياضة (وهو موضعُ قريتهم من الحرّة الغربية) في نقيع، يُقال له: نقيع الخَضِيمات (وأصلها: الخَضِيمات، وهي قرية قرب المدينة على ميل من منازل بني سلّمة، يستنقع فيها ماء السيل، ويكثر فيها الخضيم، وهو النبات الناعم الأخضر) ثم قال كعب رضي الله عنه: ونحن يومئذٍ أربعون [أبو داود، وصحّحه ابن خزيمة، وحسنه ابن حجر].

إضاءة دعويّة: صلاة أسعدٍ رضي الله عنه إمامًا وخطيبًا، مع كونه أصغر النقباء سنًّا، يدل على تقدير الإسلام للشباب، وإعماله مؤهلاتهم.

٢- تأمر قريش.

بعد أن علمت قريش بتوافد المسلمين وُحدانًا وجماعات إلى المدينة، خشيت أن تقوم لهم قائمة إذا ما قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله الهجرة بنفسه الكريمة أيضًا؛ فتداعت إلى اجتماع طارئ في دار الندوة، تزاومت فيه رؤسائهم، حتى سمي بيوم الزحمة! وبعد تشاورٍ تردّدوا فيه بين الاعتقال والقتل والنفي، قرروا الأخذ برأي أبي جهل - المقدّم في الشرّ دومًا - في أن يُخْرِجوا له من كلّ قبيلة رجلًا فيقتلوه دفعة واحدة، فيتفرّق دمه في القبائل، فيعجز حينئذٍ قومه عن طلب الثأر له، فأعلم الله نبيه صلى الله عليه وآله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، ليثبتوك، أي: ليوثقوك ويحبسوك.

٣- الإذن بالهجرة للنبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله هذه الآية [أحمد في "مسنده"، والترمذي وحسنه وصححه].

وقال الحسن البصري - في تفسير هذه الآية - : إن كفار مكة لما ائتمروا برسول الله ﷺ ليقتلوه، أو يطردوه، أو يوثقوه، وأراد الله قتال أهل مكة، فأمره أن يخرج إلى المدينة [ذكره ابن كثير في "تفسيره"].

٤- مبدأ الهجرة النبوية.

تقول عائشة رضي الله عنها: (تجهَّز أبو بكر ليهاجر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك» (أي: على مهلك)، «فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ (أي: أفديك بأبي)، قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر، قال الزُّهري: ورق السمر وهو الخبط (أي: ما يُخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر)، ثم قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة (أي: في أول وقت الظهر وشدة حره)، فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنّاً (أي: مغطياً رأسه وأكثر وجهه)، قالت عائشة: في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي؛ والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم

أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة، بأبي أنت يا رسول الله، قال: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ، بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال ﷺ: «بالثمن»، قالت عائشة: فجهّزناهما أحثّ الجهاز (أي: كأسرع ما يكون)، وصنّعنا لهما سفرةً في جراب (أي: زادًا للسفر)، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها (أي: من حزامها الذي تشد به ثيابها من الوسط)، فربطت به على فم الجراب؛ فبذلك سميت: ذات النطاقين، قالت عائشة: ثم لحق رسول الله وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنّا (أي: اختفيا) فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شابٌ ثقفٌ (أي: حاذق)، لقنٌ (أي: سريع الفهم)، فيدلج من عندهما بسحرٍ (أي: يخرج بوقت السحر)، فيصبح مع قريش كبائتٍ (أي: كأنه بات بمكة)، فلا يسمع أمرًا يكتادان به (أي: يُطلب فيه لهما كيد ومكروه) إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما: عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غنم (أي: عطية لبن شاة) فيريحها عليهما (أي: يذهب بها إليهما في وقت الرواح، وهو المساء) حين تذهب ساعة من العشاء؛ فيبيتان في رسلٍ (أي: في لبنٍ طريٍّ) وهو لبنٌ منحتهما ورَضيفهما (والرَضيف: اللبن الذي وُضعت فيه الحجارة المحمّاة لينعقد وتزول رخاوته)، حتى ينعق بها (أي: يزجر غنمه فيسمعانه) بغلسٍ، (أي: بظلمه آخر الليل)؛ وهو يفعل ذلك في كلّ ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ رجلًا من بني الدليل (هو: عبدالله بن أريقط) هاديًا خريّتًا (أي: دليلًا ماهرًا في الطريق)، وكان على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه

راحتيهما، وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاث ليالٍ صُبَحَ ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهما طريق السواحل) [البخاري].

إضاءة دعويّة:

- المؤمن عظيم التأدّب مع رسول الله ﷺ: (بأبي أنت، فداء له أبي وأمي).
- «المؤمن كيّس فطن»؛ ومثاله كلُّ من: عبدالله بن أبي بكر، وعامر ابن فهيرة؛ يقصُّ أحدهما الأنباء لمنع الأذى، والآخر يؤمّن الزاد، دون أن يشعر بهما أحد.
- المؤمن يختار الحاذق في مهنته، ويحمّله على الأمانة، فيستأجره، ولو لم يكن هذا الأخير على دينه؛ إذا اقتضت الضرورة ذلك (فأمناه فدفعا إليه راحتيهما).
- اختيار طريق السواحل، وهي غير الطريق المعتاد للقوافل آنذاك بين مكة والمدينة، فيه إظهارٌ لمهارة الدليل ابن أريقط، وأن اختياره كمرشد في الطريق كان في محله.
- المؤمن يتحرّى الاعتماد على نفسه، ويقضي حاجاته بنفقته، وبخاصة في مهمّات أمره؛ فمع كون أبي بكر رضي الله عنه وهب الراحلة لنبيّنا ﷺ، إلا أن رسول الله ﷺ قال: «بالثمن».

٥- حادثة غار جبل ثور.

قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

قال أبو بكر رضي عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله، لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا، قال صلى الله عليه وسلم: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» [متفق عليه]. ولفظ "البخاري": «اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما».

إضاعة دعوية: المؤمن يجتهد في الأخذ بالأسباب، وهو - في الوقت نفسه - عظيم اليقين بربه.
٦- جائزة قريش، ومعجزة في الطريق.

قال سُرَاقَةُ بن مالك: جاءنا رُسُلُ كِفَارِ قَرِيشٍ، يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، دِيَّةَ كُلِّ واحدٍ منهما لمن قتله أو أسره [البخاري]، (أي: مائة من الإبل)، وقال البراء بن عازب رضي عنه: «لما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، تبعه سُرَاقَةُ بن مالك بن جُعْشُم، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه (أي: غاصت أقدامها في الأرض)، قال سُرَاقَةُ: ادع الله لي، فدعا» [متفق عليه].

إضاعة دعوية: رجلٌ أقبل مصمماً على القتل، أو الأسر، فلما حُبس عما أراد، وعلم أن سيظهر أمر الإسلام، طلب الدعاء، فرجع مدعواً له بالخير، ولم يتم الانتقام منه!

٧- أحسن الخدمة في أحلك الظروف.

قال أبو بكر رضي عنه: أتينا صخرة لها شيء من الظلّ - في حرّ الظهرية - ففرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروةً كانت معي، ثم اضطجع عليها، فانطلقت

أَنْفُضْ ما حوله؛ فإذا أنا بِرَاعٍ قد أقبل في غنمه يريد من الصخرة مثل الذي أردنا، (أي: الظل)، فقلت له: هل أنت حالب؟ قال: نعم، فحلب كُثْبَةً من لبن (أي: مقدار حَلْبَةٍ خفيفة)، ومعِي إِداوَةٌ من ماء (والإداوة: إناء صغير من جلد)، عليها خِرْقَةٌ قد رُوِّتُهَا (أي: تَأْنَيْتُ بها حتى صلحت) فَصَبَبْتُ على اللبن حتى بَرَدَ أسفله، ثم أتيت به النبي ﷺ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرَب رسول الله حتى رَضِيْتُ، ثم ارتحلنا وَالطَّلَبُ في إِثْرنا [متفق عليه].

إضاءة دعويّة: تأمّل في قول أبي بكر رضي الله عنه: حتى رضيتُ، وما في ذلك من إيثارٍ ومحبة لرسول ﷺ، ثم تأمّل: فرشَ الفروة، وتنظيف المكان، وتبريد اللبن، كلُّ ذلك والقتلة متربّصون بهما ملاحقون لهما!

٨- الحكمة في التورية.

قال أنس رضي الله عنه: كان أبو بكر إذا لقيه الرجل (أي: في رحلة الهجرة)، فسأله: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول هذا الرجل يهديني السبيل، قال أنس: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني: الطريق، وإنما يعني أبو بكر: سبيلَ الخير [البخاري].

٩- نزول النبي ﷺ ومَن معه بخيمتي أمّ مَعْبَدٍ.

«نزل رسول الله ﷺ بخيمة أمّ مَعْبَدِ الكَعْبِيَّةِ الخَزَاعِيَّةِ، واسمها عاتكة بنت خالد - أو بنت خلف - فأرادوا القرى (أي: ما يُقَدَّم للضيف)، فقالت: والله ما عندنا طعام، ولا لنا مَنِحَةٌ ولا لنا شاةٌ إلا حائل (أي: شاة هزيلة ليس في ضرعها لبن)، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها

فمسح ضرعها بيده، ودعا الله، وحلب في العَسِّ (أي: القدح الكبير) حتى أرغى، وقال: «اشربي يا أمَّ معبد»، فقالت: اشربْ فأنت أحقُّ به، فردَّه عليها، فشربتْ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثلَ ذلك، فشرب ﷺ، ثم دعا بحائل أخرى، ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله - عبدالله بن أريقط الليثي - ثم دعا بحائل آخر، ففعل بها مثل ذلك، فسقى عامراً - ابن فهيرة - ثم تروَّح (أي: غادر في وقت المساء). وطلبت قريش رسولَ الله ﷺ حتى بلغوا أمَّ معبد، فسألوا عنه، فقالوا: رأيتِ محمَّداً، من حليته (أي: من صفته) كذا وكذا؟ فوصفوه لها، فقالت: ما أدري ما تقولون، لكنْ قدِمنا فتَّى حالبُ الحائل (أي: أمره عجيب؛ فهو يحلب الشاة التي لا لبن في ضرعها!)، قالوا: فذاك الذي نريد.

تنبيه: اخترت إيراد هذه القصة لكونها مشتهرة جداً في خصوص رحلة الهجرة، مع أن ابن إسحاق ذكرها من غير إسناد أصلاً، لكنَّ جمعاً من المحدِّثين ذكرها؛ منهم ابن خزيمة في "صحيحه"، والبغوي في "شرح السنَّة"، والبخاري في "تاريخه"، كما نقلها ابن كثير في "البداية والنهاية"، والبيهقي في "دلائله"، والحاكم في "مستدركه"، وصحَّحها ووافقه الذهبيُّ، وقال ابن كثير عنها: إنها مشهورة، مروية من طرق يشدُّ بعضها بعضاً.

١٠- كِسْوَةُ بِيَاضٍ مِنَ الزَّبِيرِ.

لقي رسولُ الله ﷺ الزبيرَ في ركبٍ من المسلمين، كانوا تجاراً قافلين - راجعين - من الشام، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بياضٍ [البخاري].

١١- النزول جانبِ الحَرَّةِ، والإقامة في قُباءِ أولاً، وتأسيس مسجد التقوى فيها، ثم دخول المدينة، وبناء المسجد النبوي.

سمع المسلمون بالمدينة مَخْرَجَ رسول الله ﷺ من مكة؛ فكانوا يَعُدُّونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ (عند حدود المدينة) فينتظرون، حتى يردَّهم (يؤذيتهم) حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أَوْوَأَ إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أُظْمٍ من آطامهم لأمر ينظر إليه (أي: صعد إلى حصنٍ عالٍ فأشرف منه، لشيء كان يريد النظر إليه)، فبَصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه، مبيَّضين (أي: عليهم بيض الثياب)، يزول بهم السراب (أي تظهر حركتهم للعين من خلال السراب)، فلم يملك اليهوديُّ إلا أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدُّكم - أي: سَعْدُكُمْ - الذي تنتظرون!

فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقَّوا رسولَ الله ﷺ بظَهْرِ الحَرَّةِ، فعدل بهم ذات اليمين (جانب الحَرَّةِ)، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف (وهم حيٌّ من الأوس كانت منازلهم بقُباء، في علوِ المدينة)، وذلك ضحى يوم الإثنين من شهر ربيع الأول - في الثاني عشر منه - فلبث ﷺ في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسَّس على التقوى (وهو مسجد قُباء)، وصلَّى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته (من قُباء)، فسار يمشي معه الناس، حتى برَكَتِ الناقة عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة (يوم الجمعة)، وهو (أي: والحال أن موضع المسجد) يصلِّي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين، وكان مَرَبِداً للتمر (موضع يُجفَّف فيه التمر) لسهيل وسهل: غلامين يتيمين في حِجْرِ سعد ابن زرارة (أي: في كَنَفِهِ؛ ينزلان عنده)، فقال رسول الله ﷺ

- حين بركت به الناقة - : «هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد (أي: أراد ابتياعه بالثمن) ليتخذه مسجداً، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبةً، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبَنَ (أي: الطُوب المعمول من الطين الذي لم يُحرق)، ويقول - وهو ينقل اللبَنَ - :

هذا الحِمَالُ لا حَيْبَرَ هذا أَبْرُ رَبَّنَا وأَطْهَرُ
اللَّهُمَّ إنَّ الأجرَ أَجْرُ الآخِرَةِ فارحمِ الأنصارَ والمهاجرَةَ

والمعنى: هذا الطُوب المحمول هو الذي يستأهل الحمل حقاً، لا المحمول من ثمار خيبر من التمر وغيره، فهذا أكثر ثواباً عند الله تعالى، وأطهر من ذلك المحمول الذي يتفاخر الناس بحمله، ثم دعا ﷺ بجزيل الأجر والرحمة للمهاجرين وإخوانهم الأنصار ﷺ.

مسألة: اجتهدت عائشة رضي الله عنها - كما في الرواية المتقدمة - في أن قُباء هو المقصود في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]، لكن ثبت في الحديث قوله ﷺ: «هو مسجدي هذا»، فكيف الجمع في ذلك؟

قال ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري": الجمهور على أن المراد مسجد قُباء هذا، وهو ظاهر الآية، ثم قال: والسرُّ في جوابه ﷺ رفع توهم أن ذلك خاصٌّ بمسجد قُباء، وقال الداودي: ليس هذا اختلافاً؛ لأن كلاً منهما أُسِّس على التقوى، لكن قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ يقتضي أنه مسجد قُباء، لأن تأسيسه كان أول يوم حلَّ النبي ﷺ بدار الهجرة. انتهى كلامه رحمه الله.

١٢- تشرف أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه بنزول النبي صلى الله عليه وسلم عنده.

بعد نزول النبي صلى الله عليه وسلم، وإقامته بقاء أربع عشرة ليلة، وتأسيس مسجدها على التقوى من أول يوم، ثم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة، مرافقاً بثلة من الأنصار - من بني النجّار - رضي الله عنهم، وحطّ الناقة في موضع المسجد النبويّ والشروع ببنائه بمشاركة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، «أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى جاء دار أبي أيوب رضي الله عنه»، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «أي بيوت أهلنا أقرب؟»؛ (وأطلق عليهم لفظ «أهلنا»؛ لأن والدته جدّه عبدالمطلب: سلمى بنت عوف هي من بني النجّار)، فقال أبو أيوب: أنا يا نبيّ الله؛ هذه داري، وهذا بابي، قال: «فانطلق فهبيّ لنا مقيلاً» (أي: مكاناً نقيلاً فيه ونرتاح، وثمة مقدّر هنا معناه: ، فلما هياً لهما ذلك)، فقال: قوما على بركة الله [البخاري].

فائدة: أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، اسمه: خالد بن زيد بن كليب، وهو من بني النجّار، وبنو النجّار من الخزرج [أفاده ابن حجر في "الفتح"].

١٣- أبو أيوب ينحّي أهله جانب المنزل!

نزل النبي صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب؛ واختار عليه الصلاة والسلام السكنى في السفّل - في الدّور الأرضي - وكان أبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ليلة، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم!! فتنحّوا - يقول ذلك لأهله - فباتوا في جانب، ثم قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «السفّل أرفق»، فقال رضي الله عنه: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبي صلى الله عليه وسلم في العلو، وأبو أيوب في السفّل [مسلم].

إضاءة دعويّة: فَعَلَ أَبِي أَيُوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ مِنَ الْأَدَبِ الْمَحْبُوبِ الْجَمِيلِ ، وَفِيهِ إِجْلَالٌ أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَالْمَبَالِغَةُ فِي التَّأْدُّبِ مَعَهُمْ [ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي " شَرْحِ مُسْلِمٍ "] ؛ فَهَنِيئًا لِأَبِي أَيُوبَ بِمَا صَنَعَ .

فائدة: نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ أَبِي أَيُوبَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، تَمَّ خِلَالَهَا بِنَاءُ بِيوتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُجْرَاتِهِ [أَفَادَهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي " الْفَتْحِ "] .



ثانياً: السيرة المدنيّة (مرتبّة بالسنوات).

السنة الأولى من الهجرة

● حوادث بارزة:

١- إسلام ابن سلام؛ عالم اليهود وسيدهم.

لَمَّا جَاء نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ دَارَ أَبِي أَيُوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْكَ جِئْتَ بِحَقِّ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي أَسْلَمْتُ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ! فَأَرْسَلَ نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلَّكُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقِّ، فَاسْأَلُوا»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؟»، قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ»، قَالُوا: حَاشَ لِلَّهِ، مَا كَانَ لِيُسَلِّمَ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقَالُوا مَقَالَتَهُمْ كَذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «يَا ابْنَ سَلَامٍ أَخْرِجْ عَلَيْهِمْ»، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقِّ، قَالُوا: كَذَبْتَ. فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [البخاري].

وأما سبب إسلامه ﷺ؛ فقد كان أنى النبي ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ثَلَاثٍ: أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَأَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ - أَيُّ يَكُونُ شَبَهَهُ لِأَبِيهِ - وَمِنْ أَيِّ

شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «خبرني بهنَّ أنفًا جبريل»؛ «أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادةُ كبدِ حوتٍ، وأما الشَّبهُ في الولد: فإن الرجل إذا غَشِيَ المرأة فسبقها ماؤه كان الشَّبهُ له، وإذا سبق ماؤها كان الشَّبهُ لها» [البخاري]. فأسلم ابن سلام، ثم استدعي اليهود؛ بالتفصيل الذي في الرواية المتقدمة أنفًا.

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ﷺ.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨-٩]. قال أنس رضي الله عنه: حالف النبي ﷺ بين الأنصار وقريش في داري التي بالمدينة [متفق عليه].

فائدة: أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، في دار أنس بن مالك رضي الله عنه، وكانوا تسعين رجلاً؛ نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار [أفاده ابن القيم في "زاد المعاد"].

مسألة: حالف ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كما في الأثر المتقدم، لكن صحَّ أيضاً قوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام» [متفق عليه]، فكيف الجمع بين الدليلين؟

الإجابة: معنى المحالفة التي حصلت في دار أنس رضي الله عنه المؤاخاة بينهم على التعاون والمواساة، وكذلك على أحقية التوارث فيما بينهم

بعد الموت، أما المحالفة المنهية عنها فهي التحالف على ما منع الشرع منه؛ كالتعاون على الإثم والعدوان، كما كان يحصل في الجاهلية؛ علمًا أن التحالف على التوارث قد نُسِخَ فيما بعد - أي ألغي جوازه - وانحصر التوارث بين الأقرباء فقط، وذلك عند نزول قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ولم يبق من ذلك التحالف غير عقد الأُخُوَّةِ، والتعاون على البرِّ والتقوى [أفاده النووي في "شرح صحيح مسلم"].

٣- تنظيم العلاقة بيهود.

نظم عليه الصلاة والسلام علاقة يهود بالمجتمع المسلم، فعقد معهم معاهدة ملخصها: أن تُترك لهم مطلق الحرية في الدين والمال، ما داموا لم يُظهروا ظلمًا، ولم يعتدوا، ولم يُجيروا عدوًّا للمسلمين، وقد ذكر بنود تلك المعاهدة - مفصلة - ابن هشام في "سيرته"، وهي تُعرف بالوثيقة المدنية أو دستور المدينة، ولم أعمد إلى ذكر تفصيلها لكونها لا تصح روايةً.

٤- مولد عبدالله بن الزبير؛ حيث إن أمه أسماء بنت أبي بكر هاجرت وهي حامل به، فلما أتت قُباء ولدت به، وقد حنَّكه رسولُ الله ﷺ بتمرة، وبرك عليه، وكان هو أول مولود وُلد للمهاجرين وسماه عبدالله، ثم جاء ﷺ - وهو ابن سبع سنين أو ثمانٍ - ليبايع رسول الله ﷺ، وقد أمره بذلك أبوه الزبير، فتبسَّم عبدالله، ثم بايعه. [ملخص من رواية متفقٍ عليها].

٥- مولد النعمان بن بشير ﷺ؛ وكان أول مولود وُلد للأنصار في تلك السنة.

- ٦- وفاة عثمان بن مظعون؛ وكان أول من توفي في المدينة، وأول من دُفن في بقيعها، وهو خال حفصة أم المؤمنين، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما.
- ٧- زيادة عدد ركعات الفرض، من اثنتين إلى أربع في الظهر والعصر والعشاء؛ وفي ذلك تقول عائشة رضي الله عنها: فُرِضَت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، ففُرِضَتْ أربعًا، وتُرِكَت صلاة السفر على الأولى [متفق عليه].
- ٨- شَرُعُ الأذان للدعوة إلى الصلوات؛ وذلك حين «رأى عبدالله بن زيد رضي الله عنه، رؤيا دلَّه فيها رجل على ألفاظ الأذان والإقامة، فقال عليه الصلاة والسلام - حين قصَّها عبدالله عليه - : «إنها لرؤيا حقٌّ إن شاء الله، فقم مع بلال فألقِ عليه ما رأيتَ فليؤدِّنْ به؛ فإنه أُندي صوتًا منك»، وتلك الرؤيا نفسها رآها عمر رضي الله عنه، فقال صلى الله عليه وسلم - حين أعلمه عمر بذلك - : «فله الحمد» [ملخص من رواية عند أبي داود، والترمذي، وحسَّنها وصحَّحها].
- ٩- ظهور نواة أهل النفاق؛ وكان على رأس هؤلاء عبدالله بن أبي بن سلُولٍ الخزرجي - قبَّحه الله -؛ حيث كان موعودًا من قبلُ بأن يكون ملكًا على أهل المدينة أوسها وخزرجها، فلما اجتمع الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاق بذلك ذرعًا، وانقبض صدره!! كما جاءت قصة ذلك عند "الشيخين"، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
- ١٠- كتابة قريش إلى عبدالله بن أبي، يتوعَّدونه بالقتال إن لم يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما اجتمع المنافقون لقتال النبي صلى الله عليه وسلم، قال لهم عليه الصلاة والسلام - بحكمته البالغة - : «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم؛

تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟!؛ فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا [أبو داود في "سننه"، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي].
تلك كانت أبرز الحوادث في السنة الأولى من الهجرة.

أما الأعمال الجهادية في تلك السنة، وفيما بعدها، فأرى - قبل الشروع ببيانها - التمهيد بذكر أمور ثلاثة:

الأول: أنه «جرى اصطلاح المحدثين وأهل السير - غالباً - أن يسموا كلَّ عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه: غزوةً، وما لم يحضره، بل سيرٌ بعضاً من أصحابه إلى العدو: سريةً وبعثاً [أفاده الزرقاني في "شرحه على المواهب اللدنية" للقسطلاني].

الثاني: بعض ضوابط العمل الجهادي.

- احترام النفس الإنسانية؛ فلا يُقتل غير مشارك بالحرب؛ قال ﷺ: «اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً» [مسلم]، وعند "أبي داود": «ولا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة»، ولفظ "أحمد": «ولا أصحاب الصوامع». والصومعة: بيت يتعبد فيه الناسك من النصارى.

- حرمة الغدر بالعدو بعد معاهدته، ومنع التنكيل بالمحاربين، «لا تغدروا، ولا تمثلوا» [مسلم].

- الالتزام بأحكام معاملة الأسرى؛ بين المنّ عليهم بإطلاق سراحهم، أو مفاداتهم بمال أو بأسرى للمسلمين ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمّد: ٤]، أو قتل الأسرى - المحاربين طبعاً - وذلك في حالات مخصوصة، كالمعاملة بالمثل، أو بقصد

إيقاع مزيد النكاية بالعدو؛ وذلك إنما يكون باجتهاد من الإمام؛ علمًا أن هذا الأمر كان نادر الحصول في التاريخ الجهادي للمسلمين، ثم إن العمل بأيّ من تلك الاختيارات الثلاثة: المَنّ/ الفداء/ القتل، لا يكون إلا طلبًا للمصلحة الجهادية، وتغليبًا للتمكين للمسلمين.

الأمر الثالث، الأخير: أن تلك الغزوات والسرايا، كانت جميعها لأسباب تقتضيها؛ فقد تكون لاعتراض عدوٍّ، أو تعقيبِهِ، وحينًا للاستطلاع، وحينًا أخرى لملاقاة عدوٍّ خرج إليهم، أو حشد لغزوهم، أو اعتدى بالفعل عليهم، أو لقتال مَنْ نَقَضَ عهده مع المسلمين، أو لاستعادة حقِّ سلبِ منهم، هكذا، وليس كما يتوهّمه البعض، أو يروّج له - متعمدًا - أن المسلمين كانوا يخرجون للقتال ابتداءً لمجرد سفك الدماء، أو الاعتداء على الآمنين، أو لنشر الدين بالسيف، وقسر الناس على الإيمان!!

لنعد بعدها إلى ذكر الأعمال الجهادية في السنة الأولى من الهجرة، وهي منحصرة في بعث سرايا فقط - وقد جعلتها على هيئة جدول مختصر، تيسيرًا على القارئ، وضنًا بوقته أن يصرفه في تفصيلٍ قد لا يحتاجه، ثم إنني سرت على هذا المنهج في سائر السنوات؛ أذكر الحوادث البارزة في كلِّ سنة أولاً، ثم أتبعها بجدول للغزوات، ثم بآخر للسرايا(*) .

(*) استفدت تفصيل معلومات تلك الأعمال الجهادية من مجموع مصادر ومراجع؛ هي: "البداية والنهاية" لابن كثير، و"عيون الأثر" لابن سيد الناس، و"سيرتي" ابن إسحاق، وابن هشام، و"أطلس السيرة" للدكتور شوقي أبو خليل، و"الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ" لسامي المغلوث، و"المعالم الأثرية في السنّة والسيرة" لمحمد شرّاب.

تسلسل السرايا في السنة الأولى من الهجرة

١- سرية حمزة بن عبدالمطلب

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|---|---|---|
| لم يقع قتال، وذلك بوساطة من مخشي بن عمرو الجهني سيد بني ضَمْرَة. | المكان: سيف البحر على مقربة من ساحل البحر الأحمر. الزمان: رمضان، ١هـ. | المسلمون: ٣٠ راكبًا. الأعداء: ٣٠٠ راكب. | اعتراض قافلة تجارية لقريش؛ بقيادة أبي جهل. |
| ٢- سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب | | | |
| مناوشة بالسهام فقط، ثم انسحاب كل من الفريقين. | المكان: أسفل تَنِيَّةِ المَرَّة، على ساحل البحر الأحمر. الزمان: شوال، ١هـ. | المسلمون: ٦٠ راكبًا. الأعداء: أكثر من ٢٠٠ راكب، وراجل. | اعتراض قافلة تجارية لقريش، بقيادة أبي سفيان بن حرب. |
| ٣- سرية سعد بن أبي وقاص | | | |
| لم يقع فيها قتال؛ حيث وجدوا القافلة قد فاتت. | المكان: الحَرَّار، بين مكة والمدينة. الزمان: ذو القعدة، ١هـ. | المسلمون: ٢٠ راجلًا وراكبًا. الأعداء: قافلة لقريش لم يحدّد عددٌ من فيها. | اعتراض قافلة لقريش أيضًا. |

السنة الثانية من الهجرة

● حوادث بارزة:

١- مشروعية صيام يوم عاشوراء: العاشر من المحرم.

لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا (يعني يوم عاشوراء)، فقال: «ما هذا؟»، قالوا: هذا يوم عظيم، يوم نجى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فصامه موسى شكرًا لله، فقال ﷺ: «أنا أولى بموسى منهم، فصامه ﷺ، وأمر بصيامه» [متفق عليه].

٢- تحويل قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

قال تعالى: ﴿قَدْ زَيَّ تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وفي "البخاري": أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال: أخواله من الأنصار (يقصد بني النجار؛ لأن والده عبد المطلب منهم)، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا - شك الراوي - وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر (أي: متوجهاً فيها إلى الكعبة)، وصلى معه قوم؛ فخرج رجل (هو عبادة بن بشر رضي الله عنه)، فمر على أهل مسجد (هم من بني سلمة)، وهم راكعون، فقال: أشهد بالله (أي: أحلف بالله)، لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا (كما هم في صلاتهم)، قبل البيت. وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان

يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ (أَي: جَمِيعُهُمْ أَعْجَبَهُمْ)، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ [هَذِهِ رَوَايَةٌ «الْبُخَارِيُّ»، وَرَوَاهُ «مُسْلِمٌ» مُخْتَصِرًا بِنَحْوِهِ، وَفِيهِ «سِتَّةُ عَشَرَ شَهْرًا»، مِنْ غَيْرِ شَكِّ الرَّوَايِ].

وَكَانَ هَذَا التَّحْوِيلُ مُنْتَصَفَ شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، عَلَى الصَّحِيحِ، وَبِهِ جَزَمَ الْجُمْهُورُ [ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ»].

٣- فرض صيام رمضان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ وَالشَّاهِدُ عَلَى الْفَرَضِيَّةِ فِي الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَقَدْ صَامَهُ النَّبِيُّ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ.

٤- زواج عليٍّ رضي الله عنه بفاطمة بنت رسول الله ﷺ.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ - أَي: نَاقَةٌ مُسِنَّةٌ - مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُمْسِ يَوْمَئِذٍ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُبْتَنِيَ (أَي: أَدْخَلَ) بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاعًا مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ (هُمْ مِنْ يَهُودٍ) أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَاتِي بِإِدْخِرٍ (وَهُوَ نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ بِطِيبِ الرَّائِحَةِ)، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاعِينَ فَنَسْتَعِينُ بِهِ فِي وَليمة عرسِي . . .» إِلَى آخِرِ الرَّوَايَةِ، وَهِيَ فِي الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ.

وكان ذلك بعد غزوة بدر الكبرى، كما يشير إليه ظاهر هذه الرواية؛ ومعلوم أنها جرت في السابع عشر من رمضان تلك السنة.

٥- وفاة رُقِيَّة بنتِ رسول الله ﷺ، زوجِ عثمان رضي الله عنه؛ وكان عثمان قد أقام عندها يمرضها بأمر من النبي ﷺ، وذلك أثناء غزوة بدر، حتى ماتت رضي الله عنها فكان أجره كمن شهد بدرًا، وقد أعطاه النبي ﷺ نصيبًا من غنيمة بدر مثل نصيب من قاتل فيها، قال عليه الصلاة والسلام: «إن لك أجرَ رجلٍ شهدَ بدرًا، وسهمه» [البخاري].

٦- فرض الزكاة ذات الأنصبة، وإيجاب زكاة الفطر.

فُرضت في هذه السنة الزكاة ذات الأنصبة (أي: ذات المقادير المحددة الموجهة للزكاة في أصناف بعينها)، وبعث رسول الله ﷺ السُّعاة لقبضها وجبايتها، لإيصالها إلى مستحقيها.

كذلك شُرعت في هذه السنة زكاة الفطر؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، قال بعض السلف: المراد بالتزكِّي هنا زكاة الفطر.

وقد فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر: صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على العبد والحرِّ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، من المسلمين، وأمر بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة» [متفق عليه]. والصاع مقداره (٢٧٠٠غم) بالتقريب؛ فإن أخرج المسلم زيادة عن هذا المقدار، احتُسِبَتْ له صدقة يُؤجر عليها.

تسلسل الغزوات في السنة الثانية من الهجرة

١- غزوة ودّان (الأبواء)

| السبب | قوات الطرفين | المكان والزمان | النتيجة |
|---|--|---|--|
| اعتراض عير لقريش متجهة إلى الشام. | المسلمون ٢٠٠ راكب وراجل. الأعداء: قافلة لقريش، يناصرهم بنو ضمرة. | المكان: ودّان في منطقة الأبواء بين مكة والمدينة. الزمان: صفر، ٢هـ. | فاتتهم العير؛ ولم يلقَ ﷺ كيداً، فعقد معاهدة أمانٍ مع مخشي بن عمرو الجهني سيد بني ضمرة. |
| ٢- غزوة بواط | | | |
| اعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام. | المسلمون: ٢٠٠ راكب وراجل. الأعداء: قافلة لقريش يحميها ١٠٠ راكب وراجل. | المكان: بواط أو أبواط، جبل بناحية رضوى (يُنْبَع). الزمان: ربيع الأول، ٢هـ. | فاتتهم العير، ولم يلق ﷺ كيداً، ولم يقع قتال. |
| ٣- غزوة العُشيرة | | | |
| اعتراض عير لقريش، متجهة إلى الشام. | المسلمون: ٢٠٠ راكب وراجل. الأعداء: قافلة لقريش مدعومة بفرسان من بني مُدَلِج، وبني ضمرة. | المكان: العُشيرة أو ذو العشيرة - من قرى بني مُدَلِج - وهي أول قرى يَنْبَع مما يلي الساحل. الزمان: جمادى الأولى، ٢هـ. | لم يقع قتال؛ حيث فاتت القافلة أياماً. |
| ٤- غزوة سَفَوان (بدر الأولى) | | | |
| تعقّب ومطاردة كُرْز بن جابر الفهري القرشي، الذي أغار على سرح (مراعي) المدينة. | المسلمون: ٢٠٠ راكب وراجل. الأعداء: عدد قليل بقيادة المغير كُرْز. | المكان: وادي سَفَوان، وهو في منتصف المسافة تقريباً بين المدينة وبدر. الزمان: جمادى الآخرة، ٢هـ. | لم يدرکہم المسلمون، ولم يقع قتال. |

٥- غزوة بدر الكبرى (الثانية عند أهل السير)

| السبب | قوات الطرفين | المكان والزمان | النتيجة |
|---|---|---|--|
| اعتراض قافلة تجارية مهمة لقريش قادمة من الشام. | المسلمون: ٣١٤ راکب وراجل. الأعداء: ٩٥٠، بينهم ٢٠٠ راکب من قريش. | المكان: بَدْر، اسم لبئر، على بعد حوالي ١٥٠ كلم جنوب غرب المدينة. الزمان: ١٧ رمضان، ٥٢هـ. | نصر عظيم للمسلمين، واستشهد ١٤ منهم حمزة (سيد الشهداء) ﷺ، كما قُتل ٧٠ من المشركين. |
| ٦- غزوة بني سليم (قرقرة الكُدْر) | | | |
| تحرك بني سليم، ومعهم غطفان ضد المسلمين، يريدون الإغارة. | المسلمون: ٢٠٠ راجل وراكب. الأعداء: قوة مشتركة من بني سليم وغطفان. | المكان: قرقرة الكُدْر؛ على ستة أكيال من خيبر. الزمان: أوائل شوال، ٥٢هـ. | فرار بني سليم ومن معهم، وغنيمة المسلمين. |
| ٧- غزوة يهود بني قينقاع | | | |
| نقض العهد مع المسلمين، فخرج النبي ﷺ لمعاقتهم. | المسلمون: عامة مسلمي المدينة. الأعداء: بنو قينقاع، ويقدرّون بقراة سبعمائة. | المكان: ديار بني قينقاع؛ جنوب شرق المدينة. الزمان: منتصف شوال، ٥٢هـ. | استسلام بني قينقاع، ومن ثمّ إجلاؤهم عن المدينة، وأخذ أموالهم. |
| ٨- غزوة السويق | | | |
| إغارة قريش على ناحية «العريض» بالمدينة، ثأراً لهزيمتهم في بدر، وذلك بقيادة أبي سفيان. | المسلمون: ٢٠٠ راکب وراجل. الأعداء: ٢٠٠ أيضاً. | المكان: قرقرة الكُدْر، وقد مرّ آنفاً ذكر موقعها. الزمان: ذو الحِجَّة، ٥٢هـ. | تعطّب المسلمين للمغيّرين، لكنهم لم يدرکوهم، ووجدوا بعض طعامهم من السّويق، فسميت لذلك غزوة السّويق. |

تسلسل السرايا في السنة الثانية من الهجرة

١- سرية عبدالله بن جحش (ابن عمه النبي ﷺ أميمة)

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|--|--|---|
| وقوع اشتباك سريع خاطف. | المكان: وادي نخلة اليمانية، على قرابة ٤٣ كلم شمال شرق مكة. الزمان: رجب، ٢هـ. | المسلمون: ٨ أو ١٢ راكبًا، كلهم من المهاجرين. الأعداء: ٤ رجال. | ترصد واستطلاع أخبار قريش في موضع قريب من ديارهم. |
| ٢- سرية عمير بن عدي بن خرشة، وهو من بني خزيمة | | | |
| مقتل عصماء. | المكان: المدينة. الزمان: رمضان ٢هـ. | المسلمون: عمير بن عدي ﷺ. الأعداء: تلك المرأة. | مهمة خاصة لقتل امرأة من بني خزيمة (عصماء بنت مروان)، كانت شديدة العداوة للمسلمين. |
| ٣- سرية سالم بن عمير (الخرجي) | | | |
| مقتل أبي عَفَك. | المكان: المدينة. الزمان: شوال، ٢هـ. | المسلمون: سالم بن عمير ﷺ. الأعداء: أبو عَفَك اليهودي. | مهمة خاصة لقتل اليهودي أبي عَفَك، وكان يُكثر من التحريض بشعره على المسلمين. |

السنة الثالثة من الهجرة

● حوادث بارزة:

تركزت الحوادث في هذه السنة باتجاه المنحى العسكري، بخلاف الحوادث الأخرى؛ حيث لم يذكر أهل الأثر وأصحاب السيرة - باطلاع لدي يسير - سوى:

١- حصول عقد عثمان رضي الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد وفاة أختها رقية رضي الله عنها؛ وكان عقده عليها في ربيع الأول من هذه السنة، وبنى بها في جمادى الآخرة منها.

٢- مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما، والحمل بالحسين رضي الله عنه [نقله ابن كثير في "البداية والنهاية" عن "مغازي الواقدي"]. وما عدا ذلك فقد ذكروا أعمالاً جهادية؛ بين غزوات وسرايا، وقد كانت غزوة أحدهي الأبرز في تلك السنة، وهاك جداول في بيان ذلك كله.

تسلسل الغزوات في السنة الثالثة من الهجرة

١- غزوة ذي أَمْرٍ (غطفان)

| السبب | قوات الطرفين | المكان والزمان | النتيجة |
|--|--|--|---|
| تجهيز بني ثعلبة وبني محارب من غطفان للإغارة على المدينة. | المسلمون: ٤٥٠ راكبًا وراجلًا. الأعداء: بنو ثعلبة وبنو محارب من غطفان. | المكان: ذو أَمْرٍ، بناحية نجد، قرب بلدة الحناكية حاليًا. الزمان: المحرم، ٣هـ. | فرار الأعداء، ومن ثم لم يقع قتال. |
| ٢- غزوة الفرع من بَحْران | | | |
| تجهز بني سليم لغزو المدينة. | المسلمون: ٣٠٠ راكب وراجل. الأعداء: بنو سليم. | المكان: وادي الفرع، يقع على مسافة ١٥٠ كلم جنوب المدينة. الزمان: ربيع الأول، ٣هـ. | تفرق بني سليم، ولم يقع قتال. |
| ٣- غزوة أُحُد | | | |
| أراد المشركون الثأر لهزيمتهم النكراء في (بدر الكبرى). | المسلمون: ٧٠٠ مقاتل. الأعداء: ٣٠٠٠ مقاتل. | المكان: جبل أُحُد؛ شمال المدينة. الزمان: منتصف شوال، ٣هـ. | انتصار للمسلمين أعقبه التفاف للعدو؛ ما أدى إلى حصول انتصار تعبوي إعلامي لهم؛ وقد استشهد ٧٠ مجاهدًا، وسقط للمشركين ٢٣. |
| ٤- غزوة حِمْراء الأسد | | | |
| إعلام المشركين بأن أحدًا لم تنل من عزيمة المسلمين. | المسلمون: ٦٣٠ رجلاً. الأعداء: ٢٩٧٨، معظمهم من قريش. | المكان: حِمْراء الأسد، جبل أحمر جنوب المدينة على مسافة ٢٠ كلم. الزمان: شوال، ٣هـ. | فرار قريش؛ خشية أن يذهب صدى انتصارها - التعبوي الإعلامي - في أحد أدراج الرياح! |

تسلسل السرايا في السنة الثالثة من الهجرة

١- سرية محمد بن مسلمة (الأوسي)

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|---|---|---|
| مقتل كعب بن الأشرف. | المكان: حصن كعب ابن الأشرف جنوب المدينة. الزمان: ربيع الأول، ٣هـ. | المسلمون: ستة رجال. العدو: كعب بن الأشرف. | تمادي كعب بن الأشرف اليهودي في عداوته للمسلمين. |
| ٢- سرية زيد بن حارثة الكلبى | | | |
| ملاقة القافلة، وأخذ الأموال (الغير)، وأسر رجلين من المشركين. | المكان: قردة، وزن سجدة: ماء من مياه نجد. الزمان: مستهل جمادى الآخرة، ٣هـ. | المسلمون: ١٠٠ راكب. الأعداء: قافلة لقريش بقيادة صفوان بن أمية. | اعتراض قافلة لقريش. |

السنة الرابعة من الهجرة

● حوادث بارزة:

وقع في هذه السنة جملة من الحوادث؛ ذكرها ابن كثير مفصلاً في "البداية والنهاية"، أوجزها فيما يأتي:

- ١- وفاة عبدالله بن عثمان بن عفان، ابن رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ؛ سِبْطُ رسول الله ﷺ، وهو ابن ست سنين رضي عنه.
- ٢- وفاة أبي سلمة (عبدالله بن عبد الأسد) ابن عمه النبي برة بنت عبدالمطلب، وهو ارتضع - كما حمزة رضي عنه - مع رسول الله ﷺ من ثوية مولاة أبي لهب؛ كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه.
- ٣- مولد الحسين بن عليٍّ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، في ليالٍ حَلَوْنَ من شعبان، ولم يثبت تحديد مولده رضي عنه في منتصف شعبان، كما يزعمه قوم.
- ٤- زواج النبي ﷺ من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي عنها، الملقبة بأمّ المساكين؛ لكثرة تصدُّقها عليهم وإحسانها إليهم، وكان ذلك في شهر رمضان.
- ٥- زواج النبي ﷺ بأمّ سلمة رضي عنها، بعد انقضاء عِدَّتِها من أبي سلمة، وذلك في شوال من هذه السنة.
- ٦- أمر النبي ﷺ لزيد بن حارثة رضي عنه أن يتعلّم كتاب يهود، واللغة السريانية. قال رضي عنه (فلم يمرّ بي نصف شهر حتى حدِّقته!) [الترمذي، وحسنه وصحّحه]. وكذلك عنده قوله رضي عنه: (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلّم السريانية).

تسلسل الغزوات في السنة الرابعة من الهجرة

١- غزوة بني النضير

| السبب | قوات الطرفين | المكان والزمان | النتيجة |
|---|--|--|---|
| نَقَضَ يهود بني النضير عهدهم مع المسلمين. | المسلمون: أهل المدينة كافة. الأعداء: يهود بني النضير. | المكان: ديار بني النضير في الضاحية الجنوبية للمدينة. الزمان: ربيع الأول، ٤هـ. | استسلام بني النضير، بعد حصارهم، ثم خروجهم من المدينة بعد استئذانهم. |

٢- غزوة ذات الرقاع

| | | | |
|---|---|--|---|
| معاودة تعدّي بني محارب وبني ثعلبة وتجهيزهم للإغارة على المدينة. | المسلمون: ٤٠٠ راكب وراجل. الأعداء: بنو محارب وبنو ثعلبة. | المكان: ديار غطفان في نجد. الزمان: جمادى الأولى، ٤هـ. | لم يقع قتال؛ حيث أدرك الأعداء مدى قوة المسلمين. |
|---|---|--|---|

٣- غزوة بدر الآخرة، أو الثالثة، أو بدر الموعد

| | | | |
|--|--|---|--|
| مواعدة أبي سفيان المسلمين للقاء في بدر مرة أخرى! | المسلمون: ١٠٠٠ راكب وراجل. الأعداء: ٢٠٠٠ رجل من قريش. | المكان: بدر، وقد تقدم بيان موقعها. الزمان: ذو القعدة، ٤هـ. | جَبَنَ الأعداء عن اللقاء، فكانت هزيمة معنوية نكراء لهم، والله الحمد. |
|--|--|---|--|

تسلسل السرايا في السنة الرابعة من الهجرة

١- سرية مرثد الغنوي (سرية الرجيع)

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|---|--|---|
| غدر هذا الوفد من عضل والقارة بالمعلمين الستة، واستشهادهم جميعاً ﷺ. | المكان: الرجيع؛ وهو موضع ماء شمال مكة على مسافة ٧٠ كلم. الزمان: المحرم، ٤هـ. | المسلمون: ستة من أهل العلم. الأعداء: قوة من قبيلتي عضل والقارة. | بعث النبي ﷺ بستة معلمين مع وفدٍ من قبيلتي عضل والقارة؛ (من لحيان) استجابة لطلبهم. |
| ٢- سرية أبي سلمة المخزومي(*) | | | |
| تفرق بني أسد، مخلفين وراءهم مغانم كثيرة. | المكان: قطن، جبل شمال شرق المدينة؛ على مسافة ٣٣٠ كلم. الزمان: المحرم، ٤هـ. | المسلمون: ١٥٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو أسد من مضر. | حشد بني أسد، لمحاربة النبي ﷺ. |
| ٣- سرية عبدالله بن أنيس الجهني | | | |
| مقتل خالد بن سفيان. | المكان: وادي عرنة، الذي يمر بطرف جبل عرفة المشعر، وليس منها. الزمان: المحرم، ٤هـ. | المسلمون: رجل واحد عظيم الشجاعة. الأعداء: أعرابي، معه من ناصره من أحباش وأعراب. | حشد الأعرابي خالد بن سفيان لغزو المدينة. |
| ٤- سرية بئر معونة(**) | | | |
| الغدر بالمعلمين، واستشهاد ثمانية وستين منهم. | المكان: بئر معونة، في ديار نجد. الزمان: صفر، ٤هـ. | المسلمون: سبعون رجلاً من خيرة الصحابة وعلمائهم. الأعداء: رعل وذكوان من بني سليم. | بعث النبي ﷺ سبعين عالماً من أصحابه لحاجة التعليم، وغدر بني سليم بهم! |

(*) كانت هذه السرية بعد أن تماثل أبو سلمة ﷺ للشفاء من جرحه في أحد؛ حيث بعثه النبي ﷺ مباشرة بها، ثم مكث شهراً وسبعة عشرة ليلة، ما لبث أن توفي بعدها ﷺ.

(**) خلط قومٌ بين سرية بئر معونة وسرية الرجيع؛ وذلك لتقارب زمن حدوثهما، بيد أنهما سريتان مختلفتان، حدثتا في مكانين متباعدين.

السنة الخامسة من الهجرة

● حوادث بارزة:

١ - حادثة الإفك .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

نزلت هذه الآية، وبعدها تسع آيات من سورة النور، كلها في شأن تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، من الإفك والبهتان الذي اتهمها به جماعة؛ وسنها آنذاك اثنتا عشرة سنة! فهي رضي الله عنها لا يخطر في بالها حتى مثل هذا السوء؛ لكنهم تكلموا وتناقلوا ادعاءهم هذا، وكان على رأس هؤلاء المشيعين للخبر الكاذب: رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول - قبّحه الله - وقد اغترّ بافترائه هذا بعض المسلمين؛ منهم: مسطح بن أثاثة، وكذلك حسان بن ثابت - على كثرة فضائل الأخير ومناقبه ومآثره، وأحسنها أنه كان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم بشعرٍ عجزَ عن مقارعته فيه المشركون - وكان ممن تكلم أيضاً في ذلك الإفك: حمنة بنت جحش (شقيقة أم المؤمنين زينب) رضي الله عنهم أجمعين؛ نعم، لقد ردّد هؤلاء مقولة ابن سلول، دون أن يدرك أحدهم خطورة الولوج في مثل هذا الأمر.

وسأورد هنا هذه الحادثة بلغة يسيرة؛ علماً أنها ثبتت بتفصيلها في

"الصحيحين" وغيرهما:

- كان من عادة النبي ﷺ أن يُجري قُرعة، لاختيار من ترافقه من أزواجه في غزواته وأسفاره، فكانت القُرعة من نصيب عائشة رضي الله عنها لما خرج عليه الصلاة والسلام إلى غزوة بني المصطلق (المريسيع)، وذلك في شعبان سنة خمس من الهجرة.

- لما فرغ عليه الصلاة والسلام من تلك الغزوة، قفل راجعاً إلى المدينة، حتى إذا نزلوا منزلاً قريباً من المدينة، أمر النبي ﷺ المُعسكرين بالتحرك نحو المدينة.

- مشت عائشة رضي الله عنها لقضاء شأنها، ثم رجعت إلى رحلها، فتفقدت عقداً لها كانت تلبسه، فلم تجده، فبحثت عنه زمناً، في هذه الأثناء رفع الموكلون بحمل هودجها (وهو مثل الخيمة الصغيرة، توضع على ظهر الناقة لتُحمل فيها النساء)، رفعوا الهودج على ظهر الجمل، ولم يشعر هؤلاء بأنه فارغ؛ لصغر سنّها، ولخفة وزنها آنذاك، ثم تحركوا بالجمل والهودج عليه مع سائر القوم.

- وجدت عائشة رضي الله عنها عقدها الضائع، لكنّ بعدما غادر القوم، فلما رجعت أسفت لمغادرتهم، وجلست في مكانها الذي كانت نازلةً فيه في المعسكر، ثم غلبها النعاس فنامت.

- وكعادة أهل المعسكر، فإن بعضهم يتأخر بغرض الاستطلاع لحماية ظهر الجيش، وتفقد مكان نزوله بعد مغادرته.

- كان صفوان بن المعطل السلميّ يقوم بهذه المهمة، فلمح سواداً في ناحية منه، فاقترب فإذا هو بعائشة نائمة، فرأى وجهها فعرفها - حيث كان قد رآها قبل نزول الحجاب - فاسترجع (قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)،

فاستيقظت أم المؤمنين على صوت استرجاعه، فلقت وجهها بجلبابها، ولم يكلمها حتى كلمة واحدة، وقرب إليها ظهر الجمل حتى علتُه رضي الله عنها، وانطلق يقود الراحلة، حتى أدركا الجيش في المدينة في حرّ الظهيرة؛ فتكلم الناس في سبب هذا التأخر، تقول عائشة: (فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك: عبد الله بن أبي بن سلول).

- أعلّمت أم مسطح عائشة أنها مستاءة من ولدها، فتعجبت عائشة لذلك؛ حيث إنه كان صالحًا قد شهد بدرًا، فأخبرتها عند ذلك أن الناس يتحدثون بقول أهل الإفك، وأن مسطحًا يشاركهم في قولهم! فسقطت مغشيًا عليها، وأصابتها حمى شديدة، بعد سماعها ذلك.

- لحظت عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على عادته في التلطف بها إذا مرضت؛ إنما كان يقول إذا دخل: «كيف تيكم؟»، أي: كيف تلك المرأة!!
- استأذنت بعدها من النبي صلى الله عليه وسلم أن تُمرّضَ في دار أبيها، مريدة في نفسها استيضاح حقيقة الأمر منهما.

- سألت أمها، فأكدت لها الخبر، فباتت عائشة رضي الله عنها ليلتها تبكي حتى أصبحت.

- استشار النبي صلى الله عليه وسلم بعض أهل الرأي من صحابته، في هذا الشأن؛ فأشار أسامة بن زيد رضي الله عنه بقوله: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلا خيرًا، وأشار علي رضي الله عنه بقوله: يا رسول الله، لم يُضَيِّقِ اللهُ عليك، والنساء سواها كثير؛ مريدًا بذلك أن يخفف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يُردْ بمقولته هذه - ألبتة - التشكيك في استقامة عائشة رضي الله عنها، كما يشيعه البعض، ثم قال: وإن تسأل الجارية تصدّفق.

- سأل عليه الصلاة والسلام زوجته زينب رضي الله عنها، فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً؛ والعجيب هنا أن أختها حمنة - كما تقدم - كانت تتحدث بحديث الإفك، تنافح لأجل أختها!

- ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم الجارية بريدة: «أي بريدة، هل رأيت من شيء يريبك؟»، قالت: لا، والذي بعثك بالحق.

- هنالك اعتلى النبي صلى الله عليه وسلم المنبر، وقال: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»؛ يعني: صفوان بن المعطل رضي الله عنه.

- بادر سعد بن معاذ رضي الله عنه (سيد الأوس) بالاستجابة قائلاً: إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. لم يُعجب سعد بن عبادة (سيد الخزرج) مقالة سعد بن معاذ، وأخذته الحمية للخزرج - مع أنه رجل صالح - فقال: لا تقتله، ولا تقدر على قتله! فردّ عليه أوسيّ هو أسيد بن حضير، قائلاً: بل نقتله، فلا تدافع يا سعد بن عبادة عن المنافقين، ثم علت أصواتهم والنبي صلى الله عليه وسلم على المنبر!! فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخفّضهم حتى سكتوا، وسكت عليه الصلاة والسلام.

- بعدها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها، وكان عندها أبواها، وامرأة من الأنصار تبكي لبكائها، فجلس صلى الله عليه وسلم وتشهد، ثم قال: «أمّا بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئةً

فَسَيَّبَرْتُكَ اللهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَّمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهُ وَتَوْبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

- طلبت عائشة أولاً من والديها (تأديباً) أَنْ يُجِيبَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فلم يدريا ما يقولان! ثم قالت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقتم به؛ فلئن قلتُ إني بريئة - والله يعلم أنني بريئة - لا تصدَّقوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمر - والله يعلم أنني منه بريئة - لَتُصَدِّقُنِي. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قولَ أبي يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

فائدة: ذكر بعض الشُّراح لطيفةً في حُسن اختيار عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا للفظ (أبي يوسف)، وعدم اختيارها للفظ (يعقوب)؛ وذلك تأديباً منها مع نبيِّ الله يعقوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ حيث ذكرته بكنيته لا بصريح اسمه، ثم لئلا يكون في التلفُّظ بالاسم إشارةً إلى العقوبة! وكذلك للإشارة إلى براءتها مثل براءة يوسف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من بهتان إخوانه له، وافتراء امرأة العزيز عليه، وهذا من مزيد فقها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

- لم تظنَّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنْ قرَّأنا يُتلى إلى يوم القيامة، سينزل في شأن براءتها، مع علمها يقيناً بتلك البراءة؛ وذلك من عظيم تواضعها لله تعالى، وغاية ما كانت تطمح إليه أَنْ يرى النبيُّ ﷺ رؤيا يبرئها الله بها.

- هناك، وفي المجلس نفسه، أنزل على رسول الله ﷺ آيات التبرئة من سورة النور.

- لما انقضى الوحي، نظر عليه الصلاة والسلام إلى عائشة، وقال: «يا عائشة، أمَّا اللهُ عزَّ وجلَّ فقد بَرَّأكَ»، فقالت: بِحَمْدِ اللهِ،

لا بِحَمْدِكَ!! فزجرها والدها؛ قائلاً: أتقولين هذا لرسول الله ﷺ؟! ثم بادرت أمها؛ قائلة: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقالت - متدللةً رضيها - تدلل الحبيب الأثير - : والله لا أقوم إليه، ولا أحمدُ إلا الله عزَّ وجلَّ.

- امتنع أبو بكر رضي الله عنه بعدها عن الإنفاق على مسطح (ابن بنت خالته) المشارك في حديث الإفك، وكان أبو بكر رضي الله عنه من قبل يُنفق عليه؛ لقربته وفقره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفُضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَلِصَفُحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكر: بلى، والله إنني أحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه، وقال: والله، لا أنزعها منه أبداً.

رضي الله عن أم المؤمنين الصديقة الطاهرة المطهرة عائشة، وعن أبيها الصديق أبي بكر، وعن سائر الصحابة أجمعين.

٢- وفاة سيّد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه شهيداً؛ حيث رمى حبان ابن العرقة - لعنه الله - سعداً بسهم فأصاب أكحلّه - والأكحل: عرق في الذراع - وذلك في غزوة الخندق (الأحزاب)، وسيأتي بيانها - إن شاء الله قريباً - فقطعوا أكحلّه، فحسمه رسول الله ﷺ كياً بالنار، فاستمسك الجرح (توقف النزيف)، فلما رأى سعد ذلك دعا قائلاً: اللهم لا تُخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة [متفق عليه]؛ حيث إنهم نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وساندوا الأحزاب في حصارهم المدينة، فلما ذهبت الأحزاب وفكّ الحصار، باءت قريظة بسواد الوجه، وحاصرهم المسلمون، فاستسلموا ونزلوا على حكم النبي ﷺ، فردّ عليه الصلاة والسلام الحكم فيهم لمعاذ رضي الله عنه، فحكم فيهم بقتل

مقاتليهم وسبِّي ذراريهم، ثم رجع إلى مكان مداواته، ودعا الله أن يكتبه عنده شهيداً، فلما أن قُتل مقاتلوهم، استجيبت دعوة معاذ، فانفجر جرحه ليلاً، واستمر نزيفه حتى استشهد رضي الله عنه وأرضاه.

٣- مقتل اليهوديِّ أبي رافع، عبدالله أو سلام بن أبي الحقيق، وقد كان - سيِّئ الذِّكرِ هذا - تاجرًا مشهورًا بأرض الحجاز؛ وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه؛ وهو قد ساند الأحزاب بقوة في حصارهم المدينة؛ لذا، بعث رسول الله ﷺ خمسة رجال من الأنصار - الخزرج - إليه، وأمر عليهم عبدالله بن عتيك، وكان أبو رافع متحصنًا في قصر له بأرض الحجاز - في خيبر - فكمنوا له فقتلوه [ملخص من معنى رواية عند "البخاري"]؛ فكما أن الأوس قد أراحوا المسلمين من كعب بن الأشرف على يد محمد بن مسلمة، فقد أراحهم الخزرج من أبي عفك على يد سالم بن عمير - كما تقدّم في سرايا السنة الثانية - وأراحهم أيضًا من أبي رافع على يد عبدالله بن عتيك، فرضي الله عن الأنصار أوسهم وخزرجهم، من قال فيهم ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار» [البخاري].

٤- إسلام عمرو بن العاص على يد أصحمة نجاشي الحبشة! وذلك بعد وقعة الأحزاب (الخدق)؛ سنة خمس من الهجرة حيث عزم عمرو ابن العاص ورجال من قريش معه أن يلجؤوا إلى ملك الحبشة؛ فإن انتصر المسلمون وعلا أمرهم حصل لهم الأمان عند النجاشي، وإن علا أمر قريش رجعوا وكانوا عندهم بخير!

فلما وصلوا هناك وجدوا عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه مرسلًا من عند رسول الله ﷺ، فطلب عمرو بن العاص من النجاشي أن يمكّنه من قتل عمرو بن أمية! فغضب النجاشي غضبًا شديدًا، ووعظ عمرو بن

العاص؛ قائلاً: أتسألني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبر (أي: جبريل ﷺ) الذي كان يأتي موسى فتقتله؟! ويحك يا عمرو، أظنني واتبعه؛ فإنه - والله - لعلى الحق، وليظهرنَّ على مَنْ خالفه، كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده، فقال عمرو للملك المؤمن: أفتبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط النجاشي يده، فبايعه عمرو على الإسلام.

يلغز هنا بلغز: صحابيُّ أسلم على يد تابعيٍّ؟ هو عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أسلم على يد النجاشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ حيث إن النجاشي أسلم ولم يرَ رسولَ الله ﷺ، وأسلم عمرو وقد رآه.

٥- زواج النبي ﷺ بأمّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فصارت رملة أمّ المؤمنين، وصار معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خال المؤمنين، وقد تقدّم تفصيل ذلك في مبحث "أزواج النبي ﷺ".

٦- زواج النبي ﷺ بابنة عمته زينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام بعد غزوة بني قريظة في ذي القعدة من هذه السنة، وقد تقدم بيان ذلك أيضاً.

٧- نزول الحجاب صبيحة عرس زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ وذلك صيانةً لها ولأخواتها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِبِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيِّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا

كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وفي سبب نزولها يقول أنس رضي الله عنه: «لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنها دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون، فإذا هو صلى الله عليه وسلم يتهيأ للقيام فلم يقوموا! فلما رأى ذلك قام، فلما قام صلى الله عليه وسلم، قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل، فإذا القوم جلوس! ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت - القائل أنس راوي الحديث - فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبتُ أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه» [متفق عليه].

تسلسل الغزوات في السنة الخامسة من الهجرة

١- غزوة دومة الجندل

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|-------------------------------|--|--|--------------------------------------|
| تفرق الأعداء، ثم تعقب فلولهم. | المكان: دومة الجندل؛ شمال المدينة، وهي اليوم قرية تتبع منطقة الجوف السعودية. الزمان: ربيع الأول، ٥هـ. | المسلمون: ١٠٠٠ راكب وراجل. الأعداء: قبائل دومة الجندل؛ حلفاء الروم. | تجهز قبائل دومة الجندل لغزو المدينة. |

٢- غزوة بني المصطلق (المريسيع)

| | | | |
|--|--|---|-------------------------------|
| هزيمة بني المصطلق، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم. | المكان: المريسيع، جنوب المدينة. الزمان: شعبان، ٥هـ. | المسلمون: ١٠٠٠ راكب وراجل. الأعداء: بنو المصطلق المصريون من خزاعة. | حشد بني المصطلق لغزو المدينة. |
|--|--|---|-------------------------------|

٣- غزوة الأحزاب (الخنديق)

| | | | |
|---|--|---|---|
| عجز المشركين عن اقتحام المدينة، بعد حفر المسلمين خندقاً يحول دون ذلك؛ فلم يقع قتال، وردهم الله بريح عظيمة، وجنود إلهية. | المكان: المدينة النبوية. الزمان: شوال، ٥هـ. | المسلمون: ٣٠٠٠ رجل. الأعداء: ١٠٠٠٠ من قريش وحلفائها. | تحريض اليهود قبائل العرب على غزو المدينة، للقضاء المبرم على المسلمين. |
|---|--|---|---|

٤- غزوة بني قريظة

| | | | |
|---|---|---|---|
| حصار حصون بني قريظة واستسلامهم، وقتل مقاتلهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، وتقسيم أموالهم. | المكان: ديار بني قريظة في ضاحية المدينة الجنوبية. الزمان: شوال، ٥هـ. | المسلمون: ٣٠٠٠ رجل. الأعداء: يهود بني قريظة. | نقض بني قريظة العهد مع المسلمين؛ بمساندتهم الأحزاب؛ وذلك بتضييق الخناق من ناحية جنوب المدينة. |
|---|---|---|---|

أما السرايا، فلم أف - فيما اطلعت عليه - على حصول سرايا متعيّنة التأريخ بهذه السنة، غير سريّتين؛ الأولى: سرية عبدالله بن عتيك إلى أبي رافع اليهودي، وقد تقدّم بيانها آنفاً في الحوادث، والأخرى: سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى منطقة سيف البحر - كما أرّخ لها أهل السّير في هذه السنة - وفيها أنهم كانوا يرصدون عيراً لقريش، لكن ابن حجر نقل في "الفتح" عن ابن سعد في "طبقاته" أن ذلك كان في رجب سنة ثمان، ثم تعقّب بقوله: بل مقتضى ما في الصحيح أن تكون هذه السرية في سنة ست أو قبلها، قبل هدنة الحديبية. انتهى كلامه رحمته الله.

ووجهة كلامه: أنه بعد هدنة الحديبية في ذي القعدة سنة ست لم تكن ثمة سرايا ضد قريش؛ لأن ذلك يخالف - صراحةً - بنود الهدنة. عليه؛ فيحتمل أن تكون تلك السرية في سنة ست قبل الهدنة، أو أنها في سنة خمس.

وهاك جدولاً مختصّاً بها، من غير تحديد زمن لوقوعها.

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

| السبب | قوات الطرفين | المكان | النتيجة |
|----------------|--|--|--|
| رصد عير لقريش. | المسلمون: ٣٠٠ راكب. الأعداء: قافلة لقريش. | سيف البحر، أي: ساحل البحر الأحمر في منطقة تسمى القبليّة. | فوات القافلة بعد ترصّد دام ثمانية عشر يوماً. |

السنة السادسة من الهجرة

● حوادث بارزة:

١- فرض الحج زمن الحديبية؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. [ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية"]، لكن قال ابن الجوزي في "عرف التعريف": وفرض الحج في سنة تسع على الصحيح، وقيل: سنة ست، وقيل: سنة سبع. انتهى كلامه.

٢- قُضد النبي ﷺ العمرة في هذا العام في ذي القعدة، لكن المشركين صدّوه عن البيت الحرام، فكان صلح الحديبية، كما سيأتي تفصيله قريباً.

فائدة: «اعتمر النبي ﷺ أربع عُمَرٍ؛ كلهن في ذي القعدة: عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة؛ حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته ﷺ» [متفق عليه].

٣- تحريم إنكاح المشركين المسلمات، أو حتى إبقائهن في عصمتهم. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۗ﴾ [الممتحنة: ١٠].

٤- إرسال النبي ﷺ سبعة كتبٍ إلى أمراء وملوك؛ يدعوهم فيها إلى الإسلام:

- أرسل ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى حاكم مصر: المقوقس؛ صاحب الإسكندرية؛ حيث أكرم المقوقس وفادة حاطب، إلا أنه لم يُسلم، وأهدى للنبي ﷺ هدايا، منها: مارية (أم إبراهيم رضي الله عنه).
- وأرسل ﷺ شجاع بن وهب الأسدي إلى أمير الغساسنة: الحارث بن أبي شمر، متوجهًا إلى ناحية حوران من بلاد الشام؛ حيث أبى الحارث الإسلام، بل هو هدّد بغزو المدينة.
- وأرسل ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، هرقل، متوجهًا إلى إيلياء (القدس)؛ حيث خاف هرقل على ملكه فلم يُسلم، مع علمه يقينًا بثبوت نبوة محمد ﷺ.
- وأرسل ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز ملك الفرس، متوجهًا إلى طيسفون (المدائن) في العراق؛ حيث مزق كسرى الكتاب، فقال ﷺ: «مزق الله ملكه كل ممزق» [ذكره البخاري مرسلًا]؛ فمزق الله ملكه فيما بعد، بحمد الله.
- وأرسل ﷺ سليط بن عمرو العامري إلى أمير اليمامة هودّة بن عليّ الحنفي؛ فاشترط هودّة - حتى يُسلم - أن يسلم الأمر إليه!
- وأرسل ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة أصحابمة؛ حيث أسلم ﷺ، فلما مات في سنة تسع صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب.

- وأرسل ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العَبدي بالبحرين (الإحساء اليوم)، فكتب المنذر جواباً بالإسلام والتصديق.

٥- قدوم أناسٍ من عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ - وهم ثمانية نفر - إلى المدينة؛ حيث أظهروا إسلامهم عند النبي ﷺ، ثم إنهم مرضوا، وكرهوا البقاء في المدينة، فأمرهم عليه الصلاة والسلام بالخروج إلى البادية، والتداوي بشرب ألبان الإبل وأبوالها، وأرسل معهم رعاةً وغنماً، فلما صَحُّوا ارتدُّوا عن إسلامهم، وغدروا؛ فقتلوا الرعاة، واستاقوا الغنم، فلما أُلقي القبض عليهم، أمر بهم النبي ﷺ فَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ (أي: فقوَّوها)، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتُرِكوا في ناحية الحرَّة، حتى ماتوا على حالهم [متفق عليه، ذكرته مختصراً بمعناه].

فائدة: هؤلاء سرقوا وقتلوا وارتدُّوا ومثَّلوا بالرعاة، فكان قتلهم حدًّا لردِّتهم، وقصاصًا لقتلهم، وقُطعت أيديهم وأرجلهم، وتُرِكوا في الحرَّة، لإفسادهم في الأرض (حدِّ الحرابة)، أما سَمَرُ أو سَمَلُ أَعْيُنِهِمْ فكان قصاص ماثلة لما فعلوه هم بأعين الرعاة.

تسلسل الغزوات في السنة السادسة من الهجرة

١- غزوة بني لحيان (يوم عُسفان)

| السبب | قوات الطرفين | المكان والزمان | النتيجة |
|--|---|--|---|
| معاقة قبيلتي عضل والقارة من بني لحيان؛ جزاء غدرهم بالمعلمين الستة في سرية الرجيع، كما تقدّم. | المسلمون: ٢٠٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو لحيان. | المكان: نجران، على مسافة ٩١٠ كلم جنوب شرق مكة، أما عُسفان؛ فهي على مسافة ٨٠ كلم شمال مكة. الزمان: ربيع الأول، ٥٦هـ. | تفرّق بني لحيان وبعث السرايا لتعقبهم، ثم التوجّه إلى عُسفان شمال مكة، بغرض ترهيب قريش باقتراب المسلمين من ديارهم. |

٢- غزوة ذي قرد، أو غزوة الغابة

| | | | |
|--|--|---|--|
| إغارة غطفان على نوق للمسلمين، وقتلهم رجلاً وسيبهم امرأته، واستياقهم الإبل. | المسلمون: قوة مطاردة خفيفة أولاً، ثم تتبّع المغيرين بـ (٥٠٠) رجل. الأعداء: ٤٠ راكباً. | المكان: منطقة الغابة؛ وهي ضاحية للمدينة في الشمال الغربي، وأما ذو قرد فعلى مسافة ٣٥ كلم شمال شرقي المدينة. الزمان: ربيع الأول، ٥٦هـ. | استشهاد محرز بن نضلة، ومقتل اثنين من المغيرين، واستنقاذ بعض النوق، ثم تتبّع المعتدين إلى ذي قرد. |
|--|--|---|--|

٣- غزوة الحُدَيْبِيَّة (الصُّلْح)

| | | | |
|---|---|---|--|
| منع قريش النبي ﷺ من الاعتمار، وتعاهد المسلمين بعدها على القتال، ما ألجأ قريشاً إلى التفاوض لإقامة صلح معهم. | المسلمون: ١٤٠٠ راجل وراكب. الأعداء: قريش بمكة. | المكان: الحُدَيْبِيَّة، أو الحُدَيْبِيَّة، على مسافة ٢٢ كلم غرب مكة على طريق جُدَّة، ولا زالت تُعرف بهذا الاسم. الزمان: ذو القعدة، ٥٦هـ. | منع المسلمين من دخول مكة معتمرين! ثم عقد صلح؛ يقتضي هدنة تستمر عشر سنوات بين الطرفين، يأمن فيها الناس، وتُعطى لهم حرية الاعتقاد، على أن يرُدّ المسلمون كل من يأتيهم من عند المشركين، وإن كان مسلماً، ولا عكس!! وعلى السماح للمسلمين في العام القادم بدخول مكة. |
|---|---|---|--|

بعض المصالح العظيمة المتحققة في " صلح الحديبية " :

- اعتراف رسمي من قريش بدولة الإسلام؛ بدليل القبول بإبرام صلح معهم، ثم القبول بمنح الحرية لكل من يريد اللحاق بقريش، وكذلك لكل من يريد اللحاق بركب المسلمين !!
- توقُّف الأعمال العسكرية أتاح للمسلمين نشر دعوتهم جهاراً نهاراً بانفراد، أو في أيِّ مَجْمَع للناس، حتى فاق عدد الداخلين في الإسلام، والمُعلِنين له بعد أن استخفوا به: ٨٦٠٠ مسلماً؛ حيث كان عددهم في صلح الحديبية ١٤٠٠، ثم صار ١٠٠٠٠ في فتح مكة، وذلك خلال سنتين فقط، والله الحمد.
- كان هذا الصلح سبباً لفتح مكة واستقرار المسلمين بها إلى يومنا هذا، لذا فقد سمَّاه الله تعالى فتحاً مبيناً، في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

تسلسل السرايا في السنة السادسة من الهجرة

١- سرية عكاشة بن محصن الأسدي. (سرية الغمر)

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|---|--|---|
| لم يقع قتال؛ حيث فرَّ القوم، وبعث المسلمون في آثارهم، واستاقوا مائتي بعير إلى المدينة. | المكان: غَمْرُ مرزوق، وهو ماء لبني أسد شمال شرق المدينة. الزمان: ربيع الأول، ٥٦هـ. | المسلمون: ٤٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو أسد المَصْرِيُّونَ. | توجيه النبي ﷺ عكاشة إلى بني أسد، وقد عرفت شدة عداوتهم للمسلمين. |
| ٢- سرية محمد بن مسلمة (ذو القصة) | | | |
| وقوع السرية في كمين ليلاً، واستشهد تسعة منهم، وجرح قائدهم، ومقتل رجل من المشركين. | المكان: ذو القصة؛ شمال شرق المدينة على مسافة أربعة وعشرين ميلاً. الزمان: ربيع الآخر، ٥٦هـ. | المسلمون: ١٠ رجال. الأعداء: بنو ثعلبة من قحطان، ومعهم بنو عوال. | تجهيز بني ثعلبة للإغارة على مراعي المدينة. |
| ٣- سرية أبي عبيدة عامر بن الجراح. (ذو القصة أيضاً) | | | |
| لم يقع قتال؛ حيث تفرقت جموع الأعداء. | المكان: ذو القصة، وقد تقدم بيان موقعها آنفاً. الزمان: ربيع الآخر، ٥٦هـ. | المسلمون: ٤٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو ثعلبة وأعوانهم. | الاقتصاص من بني ثعلبة وأعوانهم، بعد قتلهم من كان في سرية ابن مسلمة. |
| ٤- سرية زيد بن حارثة (الجُموم) | | | |
| إدراك القافلة، وغنم ما فيها وأسر أناس؛ منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي ﷺ. | المكان: الجُموم على مسافة ١٠٠ كلم جنوب شرقي المدينة. الزمان: ربيع الآخر، ٥٦هـ. | المسلمون: قوة اعترض خفيفة. الأعداء: بنو سليم، من مَصْرٍ. | اعترض قافلة لقريش. |

٥- سرية زيد بن حارثة (العيص)

| السبب | قوات الطرفين | المكان والزمان | النتيجة |
|---|---|--|---|
| اعتراض قافلة لقريش أيضاً. | المسلمون: ١٧٠ راكباً. الأعداء: قافلة لقريش بقيادة صفوان بن أمية. | المكان: وادي العيص، جنوب غرب المدينة. الزمان: جمادى الآخرة، ٦هـ. | عَنِمَ المسلمون القافلة، وأسروا رجالها. |
| ٦- سرية زيد بن حارثة (الطرف) | | | |
| تسيير النبي ﷺ مجدداً إلى بني ثعلبة قَتَلَهُ أصحاب سرية محمد ابن مسلمة. | المسلمون: ١٥ راكباً. الأعداء: بنو ثعلبة من القحطانيين. | المكان: الطرف، شمال المدينة، تبعد عنها ٤ كلم، في طريق القصيم، وتعرف اليوم بالصويدرة. الزمان: جمادى الآخرة، ٦هـ. | لم يقع قتال؛ حيث فرَّ إلى بني ثعلبة قَتَلَهُ أصحاب سرية محمد ابن مسلمة. |
| ٧- سرية زيد بن حارثة (جسمى) | | | |
| إغارة الهنيد بن عارض الجذامي، على موكب دحية الكلبي؛ موافد النبي ﷺ إلى قيصر. | المسلمون: ٥٠٠ راكب. الأعداء: بعض بني جذام بقيادة الهنيد بن عارض. | المكان: جسمى، شمال غرب المدينة، على بعد ٦ كلم منها. الزمان: جمادى الآخرة، ٦هـ. | مقتل الهنيد وابنه، وأسر مائة مع أخذ بعض المغانم. |
| ٨- سرية زيد بن حارثة (وادي القرى) | | | |
| استلاب بني فزارة لأول قافلة تجارية للمسلمين. | المسلمون: قوة مطاردة. الأعداء: بنو فزارة النصارى. | المكان: وادي القرى، شمال المدينة على مسافة ٣٥٠ كلم. الزمان: جمادى الآخرة، ٦هـ. | وقوع عدد من القتلى في صفوف بني فزارة. |

٩- سرية عبدالرحمن بن عوف (دومة الجندل)

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|--|---|---|
| أبى القوم في البداية إلا القتال، ثم لما أسلم الأصْبَعُ بن عمرو الكلبى تبعه أكثر القوم. | المكان: دومة الجندل، وقد تقدم بيان موضعها. الزمان: شعبان، ٦هـ. | المسلمون: قوة خفيفة. الأعداء: بنو كلاب من النصارى. | بَعَثُ النبي ﷺ ابنَ عوف إلى بني كلاب في دومة الجندل، وهم نصارى؛ وذلك لدعوتهم إلى الإسلام. |
| ١٠- سرية علي بن أبي طالب (فَدَك) | | | |
| تفرَّق المشركون، وغنم المسلمون كمًّا كبيرًا من أنعامهم. | المكان: فَدَك، شمال شرق المدينة، وتسمى اليوم: الحائط. الزمان: شعبان، ٦هـ. | المسلمون: ١٠٠ مقاتل. الأعداء: بنو سعد من العدنانيين. | سعي بني سعد بن بكر في جمع الناس لدعم يهود خيبر، للاعتداء على المسلمين. |
| ١١- سرية عبدالله بن رواحة | | | |
| مقتل معظم المشركين، على رأسهم أُسَيْر، ولم ينج منهم إلا واحد. | المكان: خيبر، بلدة معروفة، شمال المدينة، على بعد ١٦٥ كلم منها. الزمان: شوال، ٦هـ. | المسلمون: ٣٠ فارسًا. الأعداء: ٣٠ فارسًا. | تأمر أُسَيْر بن رِزَام اليهودي لقتل النبي ﷺ. |
| ١٢- سرية كُزْز بن جابر الفهري | | | |
| بعد مقتل الراعي المسلم والتنكيل به، فُعل بالغادرين مثلما فعلوا. وقد تقدّم تفصيله في الحوادث. | المكان: ضواحي المدينة. الزمان: شوال، ٦هـ. | المسلمون: ٢٠ فارسًا. الأعداء: ثمانية من عكل وعرينة. | غدر نفر من عُكَلٍ وعَريَنة، براع أرسله النبي ﷺ معهم؛ ليتداووا في البادية. |

السنة السابعة من الهجرة

● حوادث بارزة:

١- زواج النبي ﷺ بصفيّة بنت حُيَيٍّ؛ سيدة قريظة والنضير ﷺ.

كانت صفيّة من يهود بني النضير، وهي من ذرية نبيّ الله هارون عليه السلام، وقد قُتل زوجها - كنانة بن الربيع النَّضْرِي - يوم خيبر، فسُبيت، فاختارها دحية الكلبي لنفسه، بعد أن استأذن النبي ﷺ في اختيار جارية من السَّبْيِ، ثم رأى النبي عليه الصلاة والسلام أن يختصّ هو بالزواج بها؛ لكونها بنت ملك من ملوك يهود، ولأن في الصحابة من هو مثل دحية وأعلى منزلة منه، فاقتضت المصلحة الشرعية والحكمة ارتجاعها منه، ثم عوضه ﷺ عن ذلك؛ فزوجه ابنة عمّها، وزاده من جملة السَّبْيِ سبعة، حتى رضي! [ملخص بالمعنى من "فتح الباري" لابن حجر، و"المنهاج بشرح مسلم للنووي"].

٢- زواج النبي ﷺ بميمونة بنت الحارث الهلالية ﷺ.

وذلك في سفرِ عمرة القضاء، في شهر ذي القعدة؛ فلما قضى رسول الله ﷺ نسكهُ وحلّ من عمرته تزوّج بها، وذلك بمنطقة سرف - وهو وادٍ شمال شرق مكة، على اثني عشر كلم تقريباً منها - وهي المرأة التي وهبت نفسها للنبي، وفيها نزلت الآية: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وأمّ المؤمنين ميمونة كان اسمها بُرّة، فسماها ﷺ ميمونة، وهي آخر أزواج النبي ﷺ.

٣- عمرة القضاء.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

معلوم أن رؤيا الأنبياء ﷺ حق، وأنها من جملة الوحي، وقد تحققت تلك الرؤيا في دخول النبي ﷺ المسجد الحرام في عمرة القضاء، أما الفتح القريب فكان في غزوة خيبر التي وقعت ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، أي: قبل تلك العمرة؛ حيث أوقعت تلك الغزوة المهابة في قلوب أهل مكة، لَمَا تَحَقَّقَ من انتصار مؤزَّر على يهود [ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية"].

فائدة: عدَّ بعضهم هذه الحادثة غزوة؛ لأن النبي ﷺ خرج بنفسه وصحبه متسلِّحين، والظاهر أنها ليست كذلك، حيث إن قصده عليه الصلاة والسلام كان الاعتمار وليس الحرب.

٤- هدية يهود: سُم في شاة مشويّة تتكلم!!

لما فُتحت خيبر أُهديت للنبي ﷺ شاة فيها سُم، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لي مَنْ كان هاهنا من يهود، فجمعوا له، فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟!»، قالوا: نعم، قال ما حَمَلَكُم على ذلك؟»، قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يضرَّك [البخاري]، وعند أبي داود في "سننه" - بسند جيد-: فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاريُّ ﷺ (أي: من أثر السُم)، فأمر بها (أي: المرأة التي دَسَّت السُم)، رسولُ الله ﷺ فقتلت، ثم قال ﷺ في وجعه

الذي مات فيه: «مازلت أجد من الأكلة التي أكلتُ بخيبر؛ فهذا أو أن قَطَعَ أَبْهَرِيَّ» [البخاري].

إضاعة دعويّة: صَفَحَ النَّبِيُّ ﷺ عن تلك المرأة اليهودية، ولم يعاقبها؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه، مع أنها باشرت وضع السُّمِّ، قاصدةً القتل! لكن لما توفي البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أمر بقتلها عندئذٍ قصاصًا.

فائدة: جَمَعَ اللهُ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ النبوة والشهادة؛ حيث بقي عليه الصلاة والسلام بعد تلك الحادثة ثلاث سنين، حتى كان وجعه الذي توفي فيه، متأثرًا بذلك السُّمِّ الرُّعَافِ، فتوفاه الله تعالى شهيدًا [أفاده ابن كثير في "البداية والنهاية"].

٥- تحريم نكاح المتعة، وتحريم أكل لحم الحمار الأهلي.

«نهى رسولُ الله ﷺ يوم خيبر (أي: في أواخر المحرم من هذه السنة)، عن متعة النساء، وعن أكل الحُمُرِ الإنسيّة» [متفق عليه].

٦- فضل أهل اليمن، ووفودهم مسلمين.

قال ﷺ: «أتاكم أهل اليمن؛ هم أرقُّ أفئدة، وألينُ قلوبًا؛ الإيمانِ يمانٍ، والحكمة يمانيّة» [متفق عليه]. وعند "الشيخين" أيضًا: «أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوبًا وأرقُّ أفئدة؛ الفقه يمانٍ، والحكمة يمانيّة».

٧- صلح أهل فدك.

فدك بلدة يسكنها يهودٌ بالقرب من خيبر شرقًا، وتسمى اليوم الحائط؛ لما علم أهلها بانهزام أهل خيبر خافوا، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ

يصالحوه على تقديم النصف من تلك البلدة - ورُوي: تقديم جميعها -
 فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، قال تعالى: ﴿وَمَا
 أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦]؛
 فالمسلمون لم يقاتلوا أهل فدك، بل وقع الرعب من هيبة رسول الله ﷺ
 في قلوب أولئك، فتنازلوا مخافة أن يُصيبهم ما أصاب أهل خيبر.

٨- صلح تيماء.

تيماء مدينة حجازية تقع شمال المدينة، على بعد ٤ كلم تقريباً
 منها؛ لما سمع أهلها اليهود بفتح خيبر، ومن بعدها مباشرة وادي القرى
 - وسيأتي تفصيل لهما قريباً - خافوا أن يكون مصيرهم كمصير أولئك،
 فصالحوا رسول الله ﷺ على إعطاء الجزية، وولّى ﷺ على تيماء يزيد
 ابن أبي سفيان، وكان رضي الله عنه قد أسلم في اليوم نفسه!

تسلسل الغزوات في السنة السابعة من الهجرة

١- غزوة خيبر

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|--|--|---|
| فتح حصون خيبر، واستشهد ١٥ مسلماً، وجرح ١٠٠، كما قتل لليهود ٩٣، وغنيمة المسلمين لأموال يهود ومتاعهم، والاصطلاح على بقاء يهود في أرضهم، مقابل نصف غلتها. | المكان: خيبر، وقد تقدّم بيان موضعها. الزمان: أواخر المحرم، ٥٧هـ. | المسلمون: ١٦٠٠ راكب وراجل، بينهم ٢٠٠ فارس. الأعداء: يهود خيبر، وهم يقاربون عشرة آلاف، متحالفين مع قبيلة غطفان. | معاينة يهود خيبر ذوي العداوة المستمرة البالغة للمسلمين. |

٢- غزوة وادي القرى

| | | | |
|---|--|--|--|
| سقوط وادي القرى، بعد حصار دام أربعة أيام، واستشهد ١١ مجاهدًا، وغنيمة المسلمين أموال القوم وأثاثهم ومتاعهم، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، ومعاملتهم عليها. | المكان: وادي القرى، وقد تقدّم بيان موضعها. الزمان: أواخر المحرم، ٧هـ، عقب فتح خيبر مباشرة. | المسلمون: جيش خيبر نفسه. الأعداء: يهود وادي القرى. | لما انصرف عليه الصلاة والسلام من خيبر، نزل وادي القرى فدعا أهلها اليهود المتآمرين إلى الإسلام فأبوا، فحاصروهم عليه الصلاة والسلام. |
|---|--|--|--|

تسلسل السرايا في السنة السابعة للهجرة

١- سرية عمر بن الخطاب إلى ثربة

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|---|---|--|---|
| لم يقع قتال؛ لفرار هوازن من ديارهم، ورجوع عمر <small>رضي الله عنه</small> بعدها إلى المدينة. | المكان: ثربة؛ وإد من أودية الحجاز الشرقية، على مسافة ٢٠٠ كلم. شرقي الطائف الزمان: شعبان، ٧هـ. | المسلمون: ٣٠ مقاتلاً. الأعداء: قبيلة هوازن العدنانية. | أمر النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> عمر <small>رضي الله عنه</small> أن يقاتل هوازن في أرضهم تأديباً لهم؛ نتيجةً لتحركاتهم المعادية. |
| ٢- سرية أبي بكر إلى بني كلاب (النصاري) | | | |
| سُنُّ غارةٍ على بني كلاب، ومقتل بعضهم، وسبي جماعة منهم. | المكان: صرّية، وهي في ديار نجد. الزمان: شعبان، ٧هـ. | المسلمون: قوة خفيفة. الأعداء: جموع من بني كلاب. | تأديب بني كلاب لتحركاتهم المعادية. |
| ٣- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مُرّة | | | |
| استياع مواشي القوم، ثم وقوع قتال، وإصابة عدد من المسلمين، منهم بشير <small>رضي الله عنه</small> . | المكان: فدك، وقد تقدّم بيان موضعها. الزمان: شعبان، ٧هـ. | المسلمون: ٣٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو مُرّة بن كعب. | تأديب بني مُرّة لتحركاتهم المعادية أيضاً. |
| ٤- سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى بني مُرّة أيضاً | | | |
| مهاجمة بني مُرّة، وسط محالّهم، ومقتل كثير منهم، واستياع أنعامهم إلى المدينة. | المكان: الميِّفَعَةُ، موضع بناحية نجد، شرق المدينة على مسافة ١٠٠ كلم منها. الزمان: رمضان، ٧هـ. | المسلمون: ١٣٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو مُرّة. | ما تقدّم ذكره آنفاً. |

٥- سرية بشير بن سعد إلى غطفان

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|--|--|---|
| فرار غطفان من ديارهم، واستياق المسلمين لمواشيهم. | المكان: يَمَن وجَناب، شمال شرق المدينة. الزمان: شوال، ٧هـ. | المسلمون: ٣٠٠ مقاتل. الأعداء: بنو غطفان من العدنانيين. | تجمُّع غطفان، بقيادة عُيينة بن حصين، للإغارة على المدينة. |
| ٦- سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم | | | |
| وقوع قتال شديد، واستشهاد أكثر المجاهدين، كما سقط عدد من القتلى والجرحى في صفوف بني سليم. | المكان: الجَمُوم، وقد تقدَّم بيان موضعها. الزمان: ذو الحجة، ٧هـ. | المسلمون: ٥٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو سليم من المضريين. | تأديب بني سليم لتحركاتهم المعادية. |
| ٧- سرية أبي حدرد الأسلمي إلى الغابة | | | |
| نَصَبُ كمينٍ للأعداء، والتمكُّن من قتل زعيم القوم رفاعه بن قيس، وتفريقهم، واستياق مغانم كثيرة. | المكان: منطقة الغابة، وقد تقدم بيان موضعها. الزمان: ذو الحجة، ٧هـ. | المسلمون: ٣ رجال. الأعداء: بنو جشم من القحطانيين. | تجمُّع بني جشم لمهاجمة المدينة. |

السنة الثامنة من الهجرة

● حوادث بارزة:

١- إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص» [حسن، رواه الترمذي في "جامعه"]. وهو رضي الله عنه القائل لما عرض صلى الله عليه وسلم عليه الثياب والسلاح: (يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، بل أسلمت رغبة في الإسلام) [أحمد، وحسن إسناده ابن حجر]، فانظر كيف أكرم النبي صلى الله عليه وسلم عمروا بوصف الإيمان، وشاء إكرامه بعطايا من لدنه صلى الله عليه وسلم، وأعلى منزلته على كثير ممن أسلم قبله، ثم انظر كيف يتناول قوم على هذا الصحابي الجليل، بل على عامة الصحابة رضي الله عنهم، ثم يدعون بعدها أنهم في مقدمة المدافعين عن الإسلام وأهله!! وقد يصدق على مثل هؤلاء قول ولده عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، شر من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم) [مسلم].

٢- بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتب إلى الملوك، يدعوهم إلى الدخول في الإسلام.

تقدم - في حوادث سنة ست - أن هذا الإرسال كان في تلك السنة، وذكرنا ثم تفصيلاً لذلك، لكن نشير إليه هنا لكون البعض قد أثبتته في حوادث هذه السنة؛ والجمع بين ذلك: "أن بدء ذلك الإرسال كان بعد صلح الحديبية في آخر السنة السادسة، واستمر إلى قبيل فتح مكة من

السنة الثامنة، وأن معظم تلك الرسائل بُعث بها سنة ست، إلا بعث عمرو بن العاص إلى جيفرَ وعبدِ ابنيّ الجُلنديّ: مَلَكِي عُمان، فقد كان في الثامنة؛ حيث أسلما [أفاد هذا الجمعُ ابنُ كثير في "البداية والنهاية"].

٣- تكرر تحريم نكاح المتعة.

لم يخرج رسول الله ﷺ من مكة - عام الفتح - حتى أكّد النهي عن المتعة، وقال: «ألا إنها حرام حرام من يومكم هذا» [مسلم].

٤- عمرة النبي ﷺ من الجِعْرانة أو الجِعْرانة.

لما قسم عليه الصلاة والسلام غنائم هوازن، بعد رجوعه من غزوة حُنَيْن - وسيأتي قريباً تفصيل لها - أحرم للعمرة من الجِعْرانة في ذي القعدة؛ «اعتمر رسول الله ﷺ عمرة من الجِعْرانة، لما قسم غنائم حنين» [متفق عليه]، وقد «اعتمر معه ﷺ أصحابه فرَمَلُوا بالبيت (أي: أسرعوا في مشي الطواف)، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم، ثم قذفوها على عواتقهم (أي: أكتافهم) اليسرى» [أحمد في "مسنده"، وأبو داود].

٥- تخريب "الكعبة اليمانية" ! وتحطيم أصنام العرب.

كانت تلك الكعبة - المزعومة - قد أقامتها قبيلتا خثعم وبجيلة في اليمن؛ فهم لا يأتون الكعبة في مكة، بل كانوا يسمونها "الشامية" ! وقد وضعوا في كعبتهم اليمانية تلك صنماً يُدعى "ذو الخَلصة"، فقال عليه الصلاة والسلام لجريز بن عبد الله البَجَلِيّ ﷺ: «ألا تُريحني من ذي الخَلصة؟»، فقال: بلى، ثم انطلق جريز في خمسين ومائة فارس من قبيلة أَحْمَسَ، فأتاها (أي: تلك الكعبة اليمانية) فحرّقها في النار، وكسرها، فبارك رسول الله ﷺ في خيل أَحْمَسَ خمس مرات [متفق عليه].

وفي رمضان من تلك السنة أيضًا بعث عليه الصلاة والسلام عليّ بن أبي طالب - كما في "طبقات ابن سعد"، أو بعث سعد بن زيد الأنصاريّ كما في "سيرة ابن هشام"، وكان سعد ممن شهد بدرًا، فبعثه ﷺ لهدم صنم (مناة)، وكانت الأوس والخزرج يعظّمونه في جاهليتهم، فهدمه في منطقة المُشَلَّل، وهو جبل على ساحل البحر الأحمر، على مسافة ١٢٠ كلم من مكة شمالًا.

كذلك هدم عمرو بن العاص في رمضان أيضًا صنم (سواع)، وكانت قبيلة هُذَيْل تعظّمه، هدمه في منطقة وادي رُهاط، وهو على مسافة ٨٥ كلم من مكة شمالًا.

أما الطفيل بن عمرو الدّوسّي فقد هدم صنم ذي الكفّين، الذي كانت تعظّمه قبيلة دّوس، وكان قرب الطائف، ثم استمدّ الطفيل قومَه الدّوسيينَ لمناصرة النبيّ ﷺ - في محاصرة الطائف - فأمدّوه بأربعمئة منهم، وذلك في شوال من تلك السنة.

٦- قدوم وفد عبد القيس.

«قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، فقال: «مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا الندامى، فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك المشركين من مُضَر، وإننا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحُرْم؛ حدّثنا بجَمَلٍ من الأمر، إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو من وراءنا. قال ﷺ: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله - والتقدير: أمركم بالإيمان بالله؛ ثم فسرها لهم فقال - : «هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله»، ثم قال: «إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان،

وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغَانِمِ الْخُمْسَ، وَأَنْهَاكُمُ عَنْ أَرْبَعٍ: مَا انْتَبَذَ فِي الدُّبَاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ [متفق عليه]. والمقصود بالدُّبَاءِ وما بعدها: النهي عن جعل حبات التمر أو الزبيب أو نحوهما، منقوعة بماء في أوعيةٍ مِنْ صِفَتِهَا أَنَّهَا تَسَاعِدُ عَلَى تَخْمُرِ الْمَنْقُوعِ فِيهَا، فيصير بذلك محرماً، بخلاف ما يُنْقَعُ فِي الْأَسْقِيَةِ الْمَعْهُودَةِ، فإنه لا يتخمر سريعاً، ثم أُذِنَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فيما بعدُ - بالانتقاع في جميع الأوعية، شرط التأكيد من عدم تخمُّر ما فيها؛ قال ﷺ: «كنت نهيتكم عن الانتباز إلا في الأسقية، فانتبذوا في كلِّ وعاءٍ، ولا تشربوا مُسْكِرًا» [مسلم].

فائدة: لم يُذكر الحجُّ في هذا الحديث من الأمور، لكونه لم يكن قد نزل فرضه بعدُ عند قدوم هذا الوفد؛ وهذا يؤيد القول بأن الحجَّ قد فرض في السنة التاسعة، لا في السادسة، كما تقدّمت الإشارة إليه من قول ابن الجوزيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابه "عَرَفُ التعريف".

٧- إسلام سيد بني حنيفة: ثمامة بن أثال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قُبيل فتح مكة.

«لما بعث رسول الله ﷺ فرساناً ناحية اليمامة في نجد، أسروا ثمامة، وقدموا به المدينة، وربطوه بأحد أعمدة المسجد؛ فعرض عليه النبيُّ ﷺ الإسلامَ ثلاثة أيام، فأبى، فأمر عليه الصلاة والسلام بإطلاق سراحه! فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد - بين يدي النبيِّ ﷺ - فأسلم! فلما عيَّرتَه قريش بإسلامه، منع تصدير الحنطة من أرض اليمامة إلى مكة (أي: فرَضَ عليهم حصاراً اقتصادياً) إلا بإذن رسول الله ﷺ». [مختصر بالمعنى من حديث في "الصحيحين"].

ويُلحظ من سياق قصة إسلام ثمامة أنها كانت قبيل فتح مكة؛ لأن أهلها عيروه بإسلامه، وهو توعدّهم بمنع الحنطة عنهم، ما دلّ على أن مكة كانت لا زالت دار حرب لم يُسلم أهلها بعد.

إضاءة دعويّة: تأمل في إطلاق سراح ثمامة بعد أن أبى إسلامًا، ثم تأمل في مبادرته للإسلام بعدها؛ فلا إسلام بالإكراه، بل باقتناع وعزّة نفس؛ وفي القصة تأكيد لقوة شخصية ثمامة رضي الله عنه، وحُسن إسلامه؛ وذلك بشدّته على كفار مكة؛ حيث منعهم حتى ما يقوّتهم.

٨- إسلام أبي سفيان، صخر بن حرب.

بات أبو سفيان ليلةً عند العباس عمّ النبي صلّى الله عليه وآله بمرّ الظهران - وادٍ عظيم من أودية الحجاز شمال مكة - فلما أصبح أتى به العباس إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فشهد بين يديه صلّى الله عليه وآله بشهادة الحقّ، وأسلم، فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحبُّ هذا الفخر، فاجعل له شيئًا، فقال صلّى الله عليه وآله: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد (أي: البيت الحرام)، فهو آمن» [الطبراني في "معجمه الكبير"، وذكره ابن إسحاق في "سيرته"]. وعند "مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق داره فهو آمن».

وفي هذه السنة أيضًا أسلم أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عمّ النبي صلّى الله عليه وآله، كما أسلم فيها عبدالله بن أبي أمية أخو أمّ سلمة أمّ المؤمنين، وأبو قحافة - واسمه عثمان - وهو والد أبي بكر، رضي الله عنهم أجمعين.

٩- بَعَثُ أَبِي سَلِيمَانَ، خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ (سَيْفِ اللَّهِ الْمَسْلُوقِ) إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ مِنْ كِنَانَةَ.

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنَا صَبَأْنَا! فجعل خالد يقتل منهم ويأسر!! فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ رفع يده، وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، قالها مرتين [البخاري]. ثم بعث عليه الصلاة والسلام علياً إليهم فأدى لهم دِيَاتِ قَتْلَاهُمْ، وَعَوَّضَ عَلَيْهِمْ مَا خَسَرُوهُ.

إِضَاءَةٌ دَعْوِيَّةٌ: أراد خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نصرَةَ الإسلام وأهله، فقد اجتهد - مخطئاً - واعتقد أنهم إنما ينتقصون من قَدْرِ الإسلام بقولهم: صَبَأْنَا، فلم يعتقد إسلامهم، فقاتلهم، ومع ذلك لم يعزله النبي ﷺ عن إمارته، وإن كان قد تبرأ إلى الله من صنيعه ذلك. [ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية"].

تسلسل الغزوات في السنة الثامنة من الهجرة

١- غزوة مؤتة

(جيش الأمراء الشهداء: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم)

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|---|---|---|--|
| وقوع قتال، استشهد فيه ثم انسحاب مدروس نَفَذَهُ خالد بن الوليد، بعد تكبيد العدو خسائر فادحة في الأرواح. | المكان: مؤتة، جنوبي الأردن، جنوب شرق البحر الميت. الزمان: جمادى الأولى، ٥٨هـ. | المسلمون: ٣٠٠٠ مقاتل. الأعداء: ٢٠٠,٠٠٠ نصفهم من الروم، والنصف الآخر من متصّرة العرب. | مقتل مبعوث رسول الله <small>ﷺ</small> : الحارث بن عمير الأزدي إلى أمير بصرى. |
| ٢- غزوة الفتح الأعظم (فتح مكة) | | | |
| فتح مكة بعد وقوع بعض المناوشات، واستشهاد شهيدين للمسلمين، وسقوط ١٣ قتيلاً للمشركين. | المكان: مكة المكرمة. الزمان: رمضان، ٥٨هـ. | المسلمون: ١٠٠٠٠ مقاتل. الأعداء: قريش وبنو بكر. | نقض قريشٍ لصلح الحديبية. |
| ٣- غزوة هوازن = يوم حنين (أوطاس) | | | |
| وقوع قتال فرّ المشركون إثره، لكنهم التفوا مُمطرينَ ظهرَ الجيش المسلم نبالاً، فانهزم كثير من المسلمين وثبت النبي <small>ﷺ</small> فاجتمع الجيش من حوله، وطاردوا المشركين إلى وادي أوطاس، فانهزم المشركون هناك وغنم المسلمون مغانم كثيرة. | المكان: وادي حنين، يبعد عن مكة ٢٦ كلم شرقاً، ويعرف اليوم بمنطقة الشرائع. الزمان: شوال، ٥٨هـ. | المسلمون: ١٢٠٠٠ مقاتل. الأعداء: ٢٠٠٠٠ مقاتل. | تجهُّز هوازن وثقيف لقتال المسلمين. |

٤- غزوة الطائف

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|---|---|--|--------------------------|
| محاصرة الفلول بأربعين يوماً؛ ثم فكَّ الحصار عنها، لاستعصائها. | المكان: الطائف، وهي مدينة غنية عن التعريف، تقع جنوب شرقي مكة، على مسافة ٩٩ كلم منها. الزمان: شوال، ٨هـ. | المسلمون: ١٢٠٠٠ مقاتل. الأعداء: فلول ثقيف وقسم من هوازن. | ملاحقة فلول هوازن وثقيف. |

تسلسل السرايا في السنة الثامنة من الهجرة

١- سرية غالب بن عبدالله الليثي، إلى بني الملوّح

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|---|--|---|---|
| مباغته بني الملوّح بشنّ غارة مفاجئة عليهم، حيث قُتل بعضهم، واستاق المسلمون بعض ماشيتهم. | المكان: كُدَيْد، أو كُدَيْد، على مسافة ٩٠ كلم شمال مكة. الزمان: صفر، ٥٨هـ. | المسلمون: ١٥ مقاتلاً. الأعداء: بنو الملوّح. | تأديب بني الملوّح من الليثيين؛ نتيجة لتحركاتهم المعادية حول المدينة. |
| ٢- سرية بشير بن سعد الأنصاري - للمرة الثانية - إلى بني مرة | | | |
| وقوع السرية في كمين ليبيّ؛ ما أدى إلى جرح عدد كبير، غير أنه لم يقع أحد منهم في الأسر. | المكان: فدك، وقد تقدّم بيان موضعها. الزمان: صفر، ٥٨هـ. | المسلمون: ٣٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو مُرّة القحطانيون. | معاودة الكرّة على بني مرة؛ لاستفحال خطرهم. |
| ٣- سرية غالب بن عبدالله الليثي، إلى بني مُرّة أيضًا | | | |
| تفرّق جموع بني مُرّة، وغنّيمة المسلمين. | المكان: فدك، وقد تقدّم بيان موضعها. الزمان: صفر، ٥٨هـ. | المسلمون: ٢٠٠٠ فارس. الأعداء: بنو مُرّة القحطانيون. | معاقة بني مُرّة، جرّاء غدرهم وفتكهم بسرية بشير بن سعد، كما تقدّم آنفًا. |
| ٤- سرية شجاع بن وهب الأسديّ إلى بني عامر | | | |
| تفرّق الأعداء، وإصابة المسلمين المغانم. | المكان: السّيّ، وهي جنوب شرق المدينة، على مسافة ٢١٠ كلم منها. الزمان: ربيع الأول، ٥٨هـ. | المسلمون: ١٤ مقاتلاً. الأعداء: بنو عامر. | تأديب بني عامر، لتجمّعهم بقصد التعديّ على المدينة. |

٥- سرية كعب بن عمير الغفاري إلى بني قضاة

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|--|--|--|
| محاصرة السرية وتواصلهم المستمر مع الروم. | المكان: ذات أطلاح، شمال المدينة من وراء وادي العُلا، على مسافة ٣٥٠ كلم منها. الزمان: ربيع الأول، ٥٨هـ. | المسلمون: ١٥ رجلاً. الأعداء: بنو قضاة حلفاء الروم، وهم قحطانيون. | تأمر بني قضاة وتواصلهم المستمر مع الروم. |

٦- سرية عمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح

| | | | |
|--|---|--|--|
| تأديب قبيلة قضاة التي فتكت بسرية كعب بن عمير، وشاركت الروم وحلفاءهم الغساسنة في غزوة مؤتة. | المكان: ذات السلاسل، وهي تبعد قرابة ٤٤٠ كلم شمال المدينة. الزمان: جمادى الآخرة، ٥٨هـ. | المسلمون: ٥٠٠ مقاتل. الأعداء: بنو قضاة، حلفاء الروم. | إغارة الجيش المسلم المتحد على العدو، ووقوع مناوشات بين الطرفين، تفرقت إثرها جموع قضاة. |
|--|---|--|--|

٧- سرية ابي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

| | | | |
|---------------------------|---|--|--|
| رصد واستطلاع قافلة لقريش. | المكان: سيف البحر، وقد تقدم بيان موضعها. الزمان: رجب، ٥٨هـ. | المسلمون: ٣٠٠ مقاتل. الأعداء: قافلة لقريش. | استغرقت المهمة الاستطلاعية شهراً كاملاً، وتم الرصد، ولم يقع فيها قتال. |
|---------------------------|---|--|--|

٨- سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خِضْرَة

| | | | |
|--|---|---|--|
| حشد بني غطفان وبني محارب؛ للإغارة على المدينة. | المكان: خِضْرَة؛ بأرض نجد، شمال شرق المدينة. الزمان: شعبان، ٥٨هـ. | المسلمون: ١٥ مقاتلاً. الأعداء: بنو غطفان، وبني محارب. | وقوع خسائر بالأرواح في صفوف الأعداء، وتفرق جموعهم. |
|--|---|---|--|

٩- سرية أبي قتادة أيضًا إلى بطن إضم

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|---|--|--|--|
| حصول التمويه على الوجه المطلوب، ووقوع قتيل من المشركين هو عامر الأشجعي. | المكان: بطن إضم، وهو وادٍ شمال شرق المدينة. الزمان: رمضان، ٨هـ. | المسلمون: ٨ مقاتلين. الأعداء: لم يكونوا محددين. | صرف أنظار أهل مكة عن إرادة المسلمين التوجُّه إليها؛ حيث كانت هذه السرية قُبيل فتح مكة. |



السنة التاسعة من الهجرة

(عام الوفود)

● حوادث بارزة:

١- قدوم وفود العرب من كل ناحية إلى رسول الله ﷺ: بعد فتح مكة وإسلام قريش - إمام العرب، وخدمته البيت الحرام - وبعد إسلام ثقيف أهل الطائف، المتحصنين ببلدتهم، المشتدين بعنادهم في سائر مراحل الدعوة، لم يتبق خيار لدى سائر قبائل العرب سوى اللحاق بهؤلاء، وموالاتة المسلمين؛ عندها بدأت وفود تلك القبائل تصل تباعاً إلى المدينة - وُحْدَانًا وجماعات - وقد أورد ابن سعد في "طبقاته الكبرى" قدوم ما يزيد عن سبعين وفدًا من هؤلاء، لن نذكرها جميعًا - بطبيعة الحال - لكن نقتصر على أشهرها؛ ومن ذلك:

- وفد بني حنيفة، وفيهم مسيلمة الكذاب؛ حيث اشترط أن يكون له الأمر من بعد النبي ﷺ، فردّه عليه الصلاة والسلام خائبًا.
- وفد أهل نجران.
- وفد بني عامر.
- وفد الأشعريين من أهل اليمن.
- وفد بني فزارة.
- وفد بني مُرّة.
- وفد بني كلاب، وكان فيهم الشاعر المشتهر لبيد بن ربيعة.
- وفد قبيلة طي، وكان فيهم زيد الخير، وعدي بن حاتم الطائي.

- وفد الأزدي، وفيهم صُرد بن عبدالله الأزدي.
- وفد بني محارب.
- وفد بني كِنْدَةَ، وفيهم الأشعث بن قيس.
- وفد مُزَيْنَةَ.
- قدوم رسولِ ملوكِ حَمِيرٍ.
- قدوم وائل بن حُجر بن ربيعة (أحد ملوكِ حضرموت).

ومن الحوادث البارزة أيضًا في هذه السنة:

٢- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بثلاثمائة رجل - أميرًا في موسم الحجِّ.

٣- هدم مسجد الضُّرار بمنطقة قُبَاء؛ وكان قد بناه اثنا عشر رجلًا من المنافقين، ولم يريدوا بينانهم هذا إلا محاولة إيقاع الضرر بالمسلمين، بالتفريق بينهم، وليكون مركزًا للتآمر على المسلمين، ومنطلقًا لأعدائهم!!

٤- موت رأس المنافقين: عبدالله بن أُبَيِّ بن سَلُول، قَبَّحَهُ اللَّهُ.

أما الغزوات والسرايا؛ فلم يكن في تلك السنة سوى غزوة تبوك، وهي آخر غزواته ﷺ، وسبع من السرايا - باعتبار سرية خالدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى دُومَةَ الْجَنْدَلِ، أثناء غزوة تبوك - وهاك جداولَ مَفْصَلَةٍ بِذَلِكَ.

غزوة السنة التاسعة من الهجرة

تبوك (غزوة العُسرة)

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|---|--|---|
| تفرَّق جموع الروم وانسحابهم شمالاً، ثم بعث النبي ﷺ خالدًا في خمسمائة فارس إلى قبيلة كندة في دومة الجندل؛ حيث أسر ملكها الأكيدر بن عبد الملك المتآمر مع الروم، وقتل أخاه حسانًا، فتم فتح الدومة، وكسب المغانم، ثم مصالحتها وسائر قبائل الشمال على دفع الجزية. | المكان: تبوك، على مسافة ٧٧٨ كلم شمال المدينة. أما دومة الجندل: فهي قرية من الجوف شمال السعودية؛ وتقع شمال تيماء على مسافة ٤٥٠ كلم. الزمان: رجب، ٩هـ. | المسلمون: ثلاثون ألفًا؛ منهم ١٠٠٠٠ فارس. الأعداء: ٤٠٠٠٠ مقاتل؛ من الروم ومن ناصرهم من قبائل؛ مثل لخم، وجذام، وعاملة، وغسان. | بعد دخول الحجاز كله في حوزة الإسلام، خاف عرب الشمال، فتحالفوا مع الروم في الشام، وأعدوا لقتال المسلمين، فباغتهم المسلمون في ديارهم. |

تسلسل السرايا في السنة التاسعة من الهجرة

١- سرية عبيدة بن حصن الفزاري إلى بني تميم

| السبب | قوات الطرفين | المكان والزمان | النتيجة |
|---|--|---|---|
| منع بني تميم جابي الصدقات من تحصيل صدقة بني كعب الخزاعييين بعد إسلامهم. | المسلمون: ٥٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو تميم العدنانيون. | المكان: السُّقيا، وهي قرية في وادي الفُرْع، على مسافة ١٥٠ كلم جنوب المدينة. الزمان: المحرم، ٩هـ. | مهاجمة بني تميم وأسر أحد عشر رجلاً منهم، وسبِّي إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً، ثم إطلاق النبي ﷺ سراحهم. |

٢- سرية قطبة بن عامر إلى خثعم (تباله)

| | | | |
|---|--|---|------------------------------|
| إعداد قبيلة خثعم حشوداً لمحاربة المسلمين. | المسلمون: ٢٠ مقاتلاً. الأعداء: بنو خثعم من القحطانيين الخزرج. | المكان: تَبَالَه، منطقة قرب تَرْبَة، بناحية بيشة جنوب شرقي الطائف. الزمان: صفر، ٩هـ. | وقوع قتال، وانهزام المشركين. |
|---|--|---|------------------------------|

٣- سرية الضحّاك بن سفيان الكلبّي إلى بني كلاب

| | | | |
|-----------------------------------|--|--|----------------------------------|
| تجهُّز بني كلاب لمحاربة المسلمين. | المسلمون: قوة خفيفة من الفرسان. الأعداء: بنو كلاب، وهم من النصارى الموالين للروم. | المكان: الزُّجُج؛ رُجُج لآوّه، موضع بناحية «صَرِيَّة»، شمال المدينة، وإمارة صَرِيَّة تقع اليوم في منطقة القصيم السعودية. الزمان: ربيع الأول، ٩هـ. | حدث قتال، وانهزم المشركون أيضاً. |
|-----------------------------------|--|--|----------------------------------|

٤- سرية علقمة بن مُجَرِّز المُدَلِجِي إلى جُدَّة

| | | | |
|---|--|---|-----------------------------------|
| ردُّ جماعة قدمت من الحبيشة بحراً، لقتال المسلمين. | المسلمون: ٣٠٠ مقاتل. الأعداء: أعداد غير محدّدة من الأحابيش. | المكان: جُدَّة، وهي أشهر من أن تعرّف. الزمان: ربيع الآخر، ٩هـ. | لم يقع قتال؛ لفرار الأعداء بحراً. |
|---|--|---|-----------------------------------|

٥- سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلس

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|--|---|---------------------------------|
| تهديم صنم فُلس، وأخذ سبي، وغنيمة أنعام وأموال. | المكان: الفُلس، وهي منطقة اتخذت اسمها من اسم صنم بنجد، كانت تعبده طيِّئ. الزمان: ربيع الآخر، ٥٩هـ. | المسلمون: ١٥٠ مقاتلاً من الأنصار. الأعداء: بنو طيِّئ من القحطانيين. | هدم صنم كانت تعظمه قبيلة طيِّئ. |

٦- سرية عكاشة بن محصن الأسدي، إلى الجَناب

| | | | |
|---------------|--|--|---|
| لم يحدث قتال. | المكان: الجَناب ناحية نجد، شمال شرقي تبوك. الزمان: ربيع الآخر، ٥٩هـ. | المسلمون: قوة خفيفة من الفرسان. الأعداء: قبيلتا عذرة ويلي من القحطانيين. | إعداد قبيلتي عذرة ويلي، لقتال المسلمين. |
|---------------|--|--|---|

السنة المباشرة من الهجرة

● حوادث بارزة:

١- وفاة إبراهيم وُلِدَ النَّبِيِّ ﷺ من زوجته مارية القبطية؛ وذلك في شهر ربيع الأول من تلك السنة، وكان عُمرُه - بالتقريب - سنةً ونصف السنة، وصَلَّى عليه رسول الله ﷺ، ثم أمر بدفنه في مقبرة أهل المدينة: البقيع.

وقد انكسفت الشمس يوم وفاته، فأذاع الناس أنها إنما انكسفت حزناً على موت إبراهيم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتموهما، فادعوا الله وصلُّوا حتى ينجلي» [متفق عليه].

٢- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أبا موسى الأشعريَّ عبدَ الله بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى مِخْلَافٍ في اليمن - أي: ناحية فيها؛ هي زبيد وعدنان - وَبَعَثَهُ ﷺ معاذَ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى الناحية الأخرى منها، وذلك قبل حِجَّةِ الوداع؛ بَعَثَهُمَا يدعوان أهل اليمن - وكانوا أهل كتاب - يدعوانهم إلى الإسلام، ويفقَّهانهم في أمور دينهم، وقد أوصاهما عليه الصلاة والسلام بقوله: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا» [متفق عليه].

٣- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عليه الصلاة والسلام خالدَ بن الوليد إلى اليمن، ثم بَعَثَهُ ﷺ عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إليها ليقبض الخُمس، وليستوفي من خالدٍ إبلَ الصدقة، فلما حصَّلها خالد، واستوفاهما عليٌّ منه، طلب بعض المسلمين أن

يسمح لهم عليٌّ بركوبها لترتاح إبلهم، فأبى ذلك، ثم أمر عليهم رجلاً، وقفل راجعاً مسرعاً ليدرك الحجَّ مع النبيِّ ﷺ، فلما قضى حجَّه عاد إليهم، وعلم أن أميره الذي استخلفه من بعده قد سمح للناس بركوب الإبل، بل سمح لهم بلبس بعض حُلل الصدقات! فلأَمَهُ عليٌّ بل ذمَّ فعله، ثم منعهم من ركوب إبل الصدقة، ونزع عنهم الحلل التي ألبسوها، فوجد بعضُ المسلمين في نفسه على عليٍّ، منهم أبو سعيد الخدريُّ رضي الله عنه، فلما حضروا المدينة، شكَّوا للنبيِّ ﷺ ما وجدوا من التضييق من عليٍّ، فقام عليه الصلاة والسلام خطيباً، فقال: «أيها الناس لا تشكُّوا علياً، فوالله إنه لأحسنُ في ذات الله (أو في سبيل الله) من أن يُشكَّى» [الحاكم في "مستدرکه" وصحَّحه، ووافقه الذهبي].

فائدة: يُكثر قوم من تعظيم عليٍّ رضي الله عنه، ويجزمون له بوجوب الخلافة أولاً، محتجِّين بما قاله النبيُّ ﷺ في (غدیر خمٍّ): «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه» [النسائيُّ، والترمذيُّ وحسنه]؛ وهذا الحديث، وإن كان دالاً بوضوح على فضل عليٍّ، وأنه مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، لكن لا يلزم منه - ألبتة - أولوية الخلافة له، ولا تفضيله على سائر الصحب الكرام؛ إنما غاية ما هنالك أن رسول الله ﷺ أراد أن يزيل تماماً ما في نفوس بعض صحبه رضي الله عنهم من شكايَةٍ من فعل عليٍّ في منعه من ركوب إبل الصدقة، وأمره بنزع لباس الصدقات عن من لبسه؛ وبخاصة أنه كان قد اشتهر الكلام فيه في أوساط الحجَّاج، فتوقف عليه الصلاة والسلام أثناء سيره للحجِّ عند غدیر خمٍّ، وأعلن على الملأ عظيمَ فضلِ عليٍّ لينزجر الناس نهائياً عن التكلُّم بشأن ما فعل، وليعرفوا لعليٍّ ولآل بيت النبوة عموماً قدرهم العظيم.

٤- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، حَيْثُ قَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرْسَلْنِي وَأَنَا حَدِيثُ السَّنِّ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟! فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيَثْبُتُ لِسَانَكَ»، قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا، أَوْ: مَا شَكَّكْتُ فِي قَضَائِهِ بَعْدُ [أحمد بإسناد صحيح، وأبو داود، والترمذي وحسنه].

٥- حِجَّةُ الْوُدَاعِ؛ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: حِجَّةُ الْبَلَاغِ، وَحِجَّةُ الْإِسْلَامِ، أَمَا الْوُدَاعِ؛ فَلَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَعَ النَّاسَ فِيهَا وَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا، وَأَمَا الْبَلَاغِ؛ فَلَأَنَّهُ بَلَغَ فِيهَا النَّاسَ شَرَعَ الْحُجَّ، فَتَمَّ لَهُمْ بِذَلِكَ بَيَانُ الدِّينِ، وَأَمَا حِجَّةُ الْإِسْلَامِ؛ فَلِكُونِهِ ﷺ لَمْ يَحُجَّ مِنَ الْمَدِينَةِ - وَهِيَ أَرْضُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ - حِجَّةً غَيْرَهَا، لَكِنْ حُجَّ ﷺ قَبْلَ الْهَجْرَةِ مَرَاتٍ؛ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا [أفاده ابن كثير في "البداية والنهاية"].

أما الأعمال الجهادية في هذه السنة؛ فقد تقدّم أن غزوة تبوك كانت آخر مغازي النبي ﷺ، وأما السرايا، فهي اثنتان، بالتفصيل الآتي:

تسلسل السرايا في السنة العاشرة من الهجرة

١- سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب؛ من نصارى نجران

| النتيجة | المكان والزمان | قوات الطرفين | السبب |
|--|---|--|---------------------------------|
| لم يقع قتال؛ بسبب إسلام بني الحارث، والله الحمد. | المكان: نجران، على مسافة ٩١٠ كلم جنوب شرقي مكة. الزمان: ربيع الأول، ١٠هـ. | المسلمون: قوة خفيفة من الفرسان. الأعداء: بنو الحارث ابن كعب، من القحطانيّين. | تجهّز بني الحارث لغزو المسلمين. |
| ٢- سرية عليّ بن أبي طالب إلى بني مذحج في اليمن | | | |
| دعوتهم إلى الإسلام، ورفضهم ومقاتلتهم، ووقوع نحو عشرين قتيلًا في صفوفهم، وانهزامهم وجمّع عليّ المغانم وتوزيعها، ثم استجابة بني مذحج لدعوة الإسلام، والله الحمد. | المكان: مضارب بني مذحج في اليمن. الزمان: رمضان، ١٠هـ. | المسلمون: ٣٠٠ فارس. الأعداء: بنو مذحج من القحطانيّين. | تجهّز بني مذحج لقتال المسلمين. |

تلك كانت مجمل الأعمال الجهادية في عهد النبي ﷺ؛ وقد بلغت (٢٩) غزوة؛ قادها عليه الصلاة والسلام بنفسه، وذلك باعتبار الحديبية واحدة منها، في حين بلغت السرايا الموجهة بأمره ﷺ (٥٤) سرية؛ بما في ذلك سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة في السنة الثامنة، وإلى دومة الجندل أثناء غزوة تبوك؛ وكذلك باعتبار سرية ابن عتيق رضي الله عنه إلى أبي رافع في السنة الخامسة، ثم إذا اعتبرنا بعث أسامة بن زيد المنعقد بأمره ﷺ، والمنفذ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، بلغ بذلك عدد السرايا (٥٥) سرية؛ فجزى الله عنا نبينا محمداً وصحبه خير الجزاء، ورزقنا اللحاق بركب جهادهم وحسن الاقتداء بهم.

فائدة: قاتل عليه الصلاة والسلام بنفسه في غزوات؛ هي: بدر الكبرى، وأحد، والأحزاب، وبنو قريظة، وبنو المصطلق، وخيبر، وحنين، وفتح مكة.

هذا، وقد نزل في شأن بعض الغزوات قرآن يتلى إلى يوم القيامة؛ وذلك في سبع سور كريمات؛ فذكرت وقعة بدر في سورة (الأنفال) - ولها ذكر أيضاً في سورة (آل عمران) - وغزوة بني قينقاع وبعدها بسنة غزوة أحد؛ ذكرتا في سورة (آل عمران)، وإجلاء بني النضير في سورة (الحشر)، والخذق - أو الأحزاب - وبنو قريظة في سورة (الأحزاب) وصلح الحديبية، وفتح خيبر في سورة (الفتح)، أما وقعتا حنين وتبوك - أو ساعة العسرة - ففي سورة (التوبة)، وأخيراً فتح مكة في سورة (النصر) [أفاده ابن كثير في "تفسيره"].

السنة الحادية عشرة من الهجرة

● حوادث بارزة:

١- وفاة رسول الله ﷺ:

إِنَّ أَجَلَ خَطْبٍ قَدْ تَسْمَعُ بِهِ أُذُنٌ، وَأَشَدُّ مُصَابٍ يَنْزِلُ بِمَوْءِنٍ أَوْ مَوْمِنَةٍ: المصَابُ بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام؛ فَإِنَّ كُلَّ خَطْبٍ دُونَهُ، وَإِنْ كُلُّ مُصَابٍ بَعْدَهُ هَيْئٌ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي، عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تَصِيبُهُ بغيري؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي» [صحيح، أخرجه ابن ماجه]، وَقَالَ ﷺ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُصَائِبِ» [صحيح، أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"].

نعم، بعد أن قضى رسول الله ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، ارتحل إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحِجَّةِ، والمحرم وغالب صفر من مستهل السنة الحادية عشرة؛ حتى إذا كانت ليلة الثاني والعشرين من صفر مرض عليه الصلاة والسلام، وكان في بيت زوجته ميمونة رضي الله عنها؛ فلما اشتد عليه وجعه، استأذن أزواجه أن يمكث في بيت عائشة رضي الله عنها، فأرسلت عائشة إلى أبي بكر، وأرسلت حفصة إلى عمر، وأرسلت فاطمة إلى علي رضي الله عنه؛ فلم يجتمعوا حتى توفي رسول الله ﷺ، وهو في صدر عائشة وفي يومها، وكان ذلك يوم الإثنين باتفاق، بعد زوال شمس - أي: وقت ظهر - ذلك اليوم، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، تلك السنة، الموافق ٧ حزيران/ يونيو، سنة ٦٣٢م؛ مُتِمًّا فِي هِجْرَتِهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ كَوَامِلٍ.

وهاك - أخي القارئ - بعض نصوص من الكتاب وصحيح السنة تُنذر بوفاته ﷺ، وتقص عليك مجريات ذلك الحدث الجلل؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون.

- قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

- وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَّا يَأْتِ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

- وقال عزَّ شأنه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [١] وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [٢] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [٣] [النصر: ١-٣]؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؛ هو فتح مكة، فذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، وقال عمر لابن عباس رضي الله عنهما: ما أعلم منها إلا ما تعلم [البخاري].

أما السنة؛ فمن ذلك:

- قوله ﷺ لأزواجه - في حجة الوداع - : «هذه، ثم ظهور الحُصْر» [أخرجه أبو داود، وصححه ابن حجر]، يعني: هذا آخر خروج لَكُنَّ معي، ثم الزَمْنَ ظهورَ الحُصْر، أي: امكثن في البيوت ولا تخرجن، إلا لحاجة.

- وقوله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: «إن جبريل كان يُعارضني القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نِعَمَ السَّلْفُ أنا لك» [متفق عليه].

- وقوله ﷺ: «أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟» [متفق عليه]؛ يريد الاستفسار عن اليوم الذي يبيت فيه عند عائشة رضي الله عنها؛ حيث إنه ﷺ استبطاً مجيء ذلك اليوم؛ محبةً منه ﷺ أن يتوفاه الله وهو في بيتها رضي الله عنها.

- وقوله عليه الصلاة والسلام؛ حين اشتد به وجعه: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحَلِّمْ أَوْ كَيْتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ».

- وقوله ﷺ؛ حين اشتد به وجعه: «اتنوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي»، فتنازع الناس فيما سيأمر بكتابته، فأعرض عليه الصلاة والسلام عن الكتابة، وقال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير» [متفق عليه].

تنبيه: هذا الحديث يتوهم في فهمه أهل الأهواء، فيجزمون بأن الكتاب - لو كُتب - كان فيه الوصية بالنص على تعيين الخلافة لعلي رضي الله عنه، ومن بعده للأئمة الإثني عشر!!

أما أهل الحق فيجزمون بأن المراد في هذا الكتاب ما صحَّ بيانه في أحاديث، من إرادة كتابة عهد بالخلافة لأبي بكر رضي الله عنه؛ منها: «لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه (أي: عبدالرحمن) فأعهده؛ أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت - القائل النبي ﷺ - : يأبى الله ويدفع المؤمنون» [البخاري]، وقال عليه الصلاة والسلام؛ لما ثقل عليه المرض: «أبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك يا أبا بكر» [مسلم].

ولنعد بعدها إلى ذكر النصوص النبوية المودعة قبيل وفاته ﷺ؛ ومنها:

- قوله ﷺ: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتاه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختر ما عنده» [متفق عليه].

- وقوله عليه الصلاة والسلام؛ لَمَّا ثَقُلَ بِهِ مَرَضُ الْوَفَاةِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ» [متفق عليه]؛ ومعلوم أن العهد بالإمامة في الصلاة عماد الدين مشير بقوة إلى العهد بالخلافة.

- وقوله عليه أزكى صلاة وأتم تسليم؛ في مرضه الذي توفي فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت في خير؛ فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السُّم» [البخاري]. يشير ﷺ إلى أن سبب وفاته أثر السُّم في الشاة التي أكل منها في خير، والتي مات بسببها البراء بن معرور الأنصاري رضي الله عنه. والأبهر: عرقٌ أساسي ممتد بين القلب والرأس [النهاية لابن الأثير].

وقد تقدّم أنه بهذا يتمّ لنبيّنا ﷺ النبوة والرسالة والشهادة في سبيل الله تعالى.

ثم لَمَّا ثَقُلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَرَضُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَخَذَتْ عَائِشَةُ بِيَدِهِ، فَجَعَلَتْ تَمْسُحُهُ، وَتَقُولُ: أَذْهَبِ الْبَاسُ، رَبِّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يَغَادِرُ سَقَمًا. قالت: فنزع يده من يدي، ثم قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، فكان هذا آخر ما سمعتُ من كلامه ﷺ [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

وكانت رضي الله عنها تقول: «إِنْ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَفَّى فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ حَيْثُ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - أَي: ابْنُ أَبِي بَكْرٍ - وَبِيَدِهِ السَّوَاكِ، وَأَنَا مَسْنِدُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَحِبُّ السَّوَاكِ، فَقُلْتُ: أَخْذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ

عليه، وقلت: أليّنه لك؟ فأشار برأسه «أن نعم»، فليّنته فأمره، وبين يديه ركوة - آنية - فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، وهو يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»، ثم نصب يده، وجعل يقول: «اللهم الرفيق الأعلى»، حتى قبض ومالت يده ﷺ [البخاري]. وقالت ﷺ: فلما خرجت نفسه لم أجد ريحاً قطّ أطيّب منها [أحمد في "مسنده"].

صلّى الله وسلّم وبارك عليك يا رسول الله؛ طبت حياً، وطبت ميتاً، ونشهد أنك بلغت الأمانة، وأديت الرسالة، ونصحت للأمة، فجزاك الله خيراً ما جزى نبياً عن أمته، وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن - حزناً ما يعدله حزن - على فراقك يا رسول الله، ولا نقول إلا ما يرضي ربّنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

هذا، وقد كان من آخر وصايا النبي ﷺ لأُمَّته:

- «لا تتخذوا القبور مساجد؛ إني أنهاكم عن ذلك» [مسلم].

- «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه [أخرجه أحمد، وابن ماجه، وصححه ابن حبان].

صفة غسله ﷺ: قالت عائشة رضي الله عنها: لما أرادوا غسل النبي ﷺ، قالوا: والله ما ندري أنجرّد رسول الله ﷺ من ثيابه، كما نجرّد موتانا؟ أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره - أي يعط عميقاً في نومه - ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت، لا يدرون من هو، أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه؛ يصبّون الماء فوق

القميص، ويدلُّ كونه بالقميص دون أيديهم [أخرجه أحمد، وأبو داود، وصحَّحه ابن حبان].

صفة تكفينه ﷺ: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّ رسولُ الله ﷺ في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّةٍ (نسبة إلى سَحُول قرية باليمن)، من كُرْسُفٍ (وهو: القطن)، ليس فيها قميص ولا عمامة [رواه الشيخان].

صفة الصلاة عليه ﷺ: صَلَّى صحابة النبي عليه ﷺ فرادى، ولم يختصَّ أحدٌ بإمامتهم؛ لا خلاف في ذلك بين أهل العلم، وهذا من مزيد تأدبهم مع رسول الله ﷺ، وحتى لا تُتوهَّم أحقيَّة الخلافة لمن أمَّ المصلِّين.

صفة دفنه ﷺ: أجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن يكون ذلك في حجرة عائشة رضي الله عنها، لقوله ﷺ: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يُدفن فيه» [الترمذي واستغربه، وقال ابن حجر: وله طرق تُشعر أن له أصلاً، وقد روي من غير وجه]. وفي "شمائل الترمذي" موقوفاً على أبي بكر، قوله رضي الله عنه: (يُدفن رسول الله ﷺ في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإنه لم يقبض روحه إلا في مكان طيب) [صحَّح إسناده ابن حجر]. أرسل بعدها الصحابة رضي الله عنهم إلى الشَّقَّاق (من يشقُّ القبر عمودياً)، كما أرسلوا إلى اللَّاحِد (وهو من يجعل في القبر تجويفاً داخلياً، إلى جهة القبلة لإدخال الميت فيه)، فسبق اللَّاحِد، فلحد لرسول الله ﷺ، ثم دُفن، وكان اللَّاحِد أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه، والذي طرح القטיפفة (وهي دثار أحمر مخمَّل) تحت رسول الله ﷺ: شُقْران، مولى رسول الله ﷺ، كما عند الترمذي، وحسنه، وعند "مسلم" عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جُعل في قبر رسول الله ﷺ قטיפفة حمراء.

صفة قبره ﷺ: «أُحِدَ للنبي ﷺ لِحْدًا، وَنُصِبَ عليه اللَّبْنُ نَصْبًا» [حسن، أخرجه البيهقي في "الكبرى"].

لهذا؛ فإنه يُشْرَع - بعد الانتهاء من الدفن لِحْدًا - أن يُنْصَبَ عليه اللَّبْنُ نَصْبًا، نحوًا من شبر؛ لِيُعْلَمَ أن ثمة قبرًا فلا يُجْلَسُ عليه، ولا يُدَّاسُ، ولا تُقْضَى حاجة في موضعه.

ميراث النبي ﷺ: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا، ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمةً، ولا شيئًا إِلَّا بَعَلْتَهُ البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة» [البخاري]. «وتوفي عليه الصلاة والسلام ودرعُه مرهونَةٌ عند يهوديٍّ بثلاثين صاعًا من شعير!» [البخاري].

وقد صحَّ عنه ﷺ قوله: «لا يقسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت - بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي - فهو صدقة» [متفق عليه].

٢- ومن الحوادث البارزة في تلك السنة أيضًا: بَعَثَ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه بسرية ضمت ثلاثة آلاف راكب وراجل، إلى الشام لنشر الدعوة وحمايتها، وردّ غارات المعتدين المتربّصين شرًّا بالدولة الجديدة؛ وكانت غاية ذلك البعث - فضلًا عن نشر الدعوة وحمايتها - معاودة المسلمين الكرّة بأن يطؤوا الأرض التي استشهد فيها أمراء مؤتة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنه؛ وذلك بقصد إظهار الاستعداد المتجدّد التام للدفاع عن أرض الإسلام.

لكنّ لما تآهّب الجيش للمسير، ثَقُلَ برسول الله ﷺ المرضُ، فأقام الجيش في ظاهر المدينة، ولم يتحرك راجيًا أميره أسامة رضي الله عنه الشفاء القريب لرسول الله ﷺ، وراغبًا بتلقّي الإرشاد والتعليمات منه

عليه الصلاة والسلام، فلما توفي ﷺ عَظَمَ الخَطْبُ على المسلمين، وساءت أحوال الناس، فأشهرَ بعضهم ما كان يُخفيه من النفاق، وارتدَّ من ارتدَّ من قبائل العرب، ومنعوا أداء الزكاة إلى الخليفة الصديق ﷺ، وصارت صلاة الجمعة نادرة الحصول إلا في مكة والمدينة؛ إزاء ذلك كلُّه أشار كثير من الناس على الخليفة أبي بكر ﷺ أن لا يحرك جيش أسامة لاحتياجه إليه في ضبط الأوضاع المستجدة؛ لكن الصديق أبي، قائلاً: والله لا أحلُّ عقدةً عقدها رسول الله ﷺ؛ فكانت النتيجة إذ ذاك مذهلة! حيث رُعبت القبائل عند مرور ذلك الجيش الجرار في ديارهم، قائلين: لئن كان الصديق مُرسلاً لقتال الروم ومَن ناصرهم على عظمة أمرهم وشِدَّة بأسهم، فكيف بقتالنا ونحن قلة لا نُقارن بأولئك؟! فلما رجع جند أسامة سالمين غانمين - بعد أربعين يوماً - انضمَّ إلى هذا الجيش مَن ثبت من العرب على إسلامهم، ثم قاتلوا جميعاً صفًا واحدًا المرتدِّين، حتى دانت العرب جميعًا لخلافة أبي بكر ﷺ، واستتبَّ له الحال؛ وذلك بحسن اتباعه لرسول الله ﷺ، وبإنفاذه ما شرعَ ﷺ به، مُثبِّتًا بذلك رباطة جأشٍ قلَّ نظيرها، مع حُسنِ تصرُّفٍ في النكبات، ما أظهر عملًا - بلا شك - أنه أولى الناس بخلافة رسول الله ﷺ.

إضاءة دعويَّة: إن في جعلِ رسول الله ﷺ قيادة الجيش الإسلاميِّ الأخير ذي المهمة الأصب - حماية الدولة الإسلامية - في عهدِه شابًّا في سن العشرين، وجعله تحت لوائه شيوخ المهاجرين والأنصار؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ، وهم مَن هم في سبِّهم إلى الإسلام، وحُسنِ بلائهم فيه، وتقدُّمهم في السنِّ والمكانة على أسامة؛ إن في ذلك لسنَّة حميدة من سنن الإسلام في إلغاء الفوارق بين الناس من جاء

وسنّ وفضل، مع تقديم الأكثر كفاءة، والأصلح للمهمة، مهما يكن سنّه ومكانته الاجتماعية، ثم إن في رضى هؤلاء العظماء - الذين أثبت التاريخ فيما بعد أنه لم يكن قادة مثلهم في عظمتهم وكفاءاتهم - بأن يكونوا تحت إمرة شابّ صالح كفوء، خير دليل على تقدير الإسلام لطاقت الشباب، ثم على مدى التهذيب النفسي والخُلقي الذي وصل إليه أولئك الصحابة رضي الله عنهم، بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدايته وحُسن تربيته وإرشاده [مستفاد من "السيرة النبويّة؛ دروس وعبر" للدكتور مصطفى السباعي].



خاتمة

أَحْمَدُ اللهُ تَعَالَى أَنْ شَرَّفَنِي بِخِدْمَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَيَسَّرَ لِي تَسْطِيرَ شَيْءٍ مِنْ سِيرَتِهِ الْعَطْرَةَ، وَلَا رَيْبَ بَأَنَّ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتَهُ لَيْسَ إِلَّا بَعْضُ مَا أَسَدَاهُ لَنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ هِدَايَةٍ، وَسَنَّهُ لَنَا مِنْ أَسْوَةِ حَسَنَةٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنَّا الْآنَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ؛ فَنَحْنُ نَرَى بِأُمَّ أَعْيُنِنَا أَقْوَامًا، بَلْ أُمَّمًا جَانَبُوا هَذَا السَّبِيلَ، فَهَمَّ فِي غِيَّهِمْ سَادِرُونَ، وَفِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ؛ لَا يَدْرُونَ لَهُمْ مَبْدَأٌ، وَلَا يَهْنُؤُونَ حَيَاةً، وَلَا يَرْجُونَ مَعَادًا، وَلَا يَقِيمُونَ وَزْنَ لَدِينٍ، أَوْ حَتَّى لَقِيمٍ وَفَضَائِلٍ.

نعم، لقد اختار الله رسوله ﷺ إلى جواره، بعد أن أدَّى الأمانة وبلغ الرسالة، وهياً جزيرة العرب كلها لحمل لواء الإسلام للعالمين، ونشر حضارته وتعاليمه في أنحاء الأرض، وقد استخلف من بعده قادة أكفأ لإدارة دولة الإسلام؛ أثبت التاريخ أنهم جيل محمدي فريد لم يكن قبلهم مثلهم، ولم تجد الإنسانية بعدهم بمثلهم.

هذا جهد المقلِّ أشرفُ بتقديمه يسيراً مختصراً لأمة النبي ﷺ، ينهل منه من شاء ما شاء؛ فمن أراد توسُّعاً فدونه المصادر والأُمَمَات التي نقلت عنها، وإنِّي لأرجو الله تعالى أن يتقبَّل مني ما عملت، وأن يُعْظِمَ لي فيه أجراً، ولوالديَّ، ولكلِّ من نظر فيه؛ فانتفع به، أو دلَّ عليه، كما أرجو من أخٍ محبِّ ناصحٍ إن وجد فيه نقصاً أن يُتِمَّهُ، أو أُلْفِي خِلاً أن يُصْلِحَهُ، مشكوراً مأجوراً.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمّد النبي الأمّيّ،
الطيب الطاهر الزكيّ، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وعلى آله
وصحبه، ومن تبعهم بإحسان، ورزقنا حبّهم وألحقنا بهم، وجعلنا ممن
تعلم سيرة نبيّه ﷺ، وعلمها، وعمل بها، اللهم اجزِ عبدك ورسولك
محمّدًا عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمّته، وهب لنا مزيد محبّته، وعظيم
توقيره، وارزقنا كريم جواره في الدارين، واجعلنا من خير أتباعه،
واحشرنا تحت لوائه، وأوردنا حوضه، وأشربنا من يده الشريفة شربةً
لا نظماً بعدها أبداً، إنك وحدك وليّ ذلك سبحانك، والقادر عليه.

د / خالد بن عبدالرحمن الجريسي

قائمة المصادر والمراجع

(أ)

- الإصابة في تمييز الصحابة؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق طه محمد الزيني، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- الإصابة في صحّة حديث الذبابة، د. خليل خاطر، دار القبلة - جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ؛ سامي بن عبدالله المغلوث، دار مكتبة العبيكان - الرياض - ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- أطلس السيرة النبويّة؛ د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(ب)

- البداية والنهاية؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(ت)

- تبشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ؛ د. نصر الله أبو طالب، مؤسسة الريّان - بيروت، ط ٤، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- تفسير القرآن العظيم؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن عمر بن كثير، تحقيق حسان الجبالي، بيت الأفكار الدولية - الرياض، دط، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(ج)

- جامع الترمذي (الجامع المختصر)؛ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي؛ ضمن موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(ح)

- حقائق علمية في القرآن الكريم؛ أ. د. زغلول النجار، دار المعرفة - بيروت، ط ٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(د)

- دلائل النبوة؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(ر)

- رحمة للعالمين؛ القاضي محمد المنصور فوري، ترجمة د. سمير إبراهيم، دار السلام - الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(ز)

- زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ؛ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١٥، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(س)

- سنن أبي داود (السنن)؛ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني؛ ضمن موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة، دار السلام - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- السنن الكبرى؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة - بيروت، دط، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- سنن ابن ماجه (السنن)؛ أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه؛ ضمن موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة، دار السلام - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- السيرة النبوية؛ عبدالملك بن هشام المعافري، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الهلال - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- السيرة النبوية دروس وعبر؛ د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٨، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- السير والمغازي؛ المشتهرة بسيرة ابن إسحاق؛ محمد بن إسحاق المظلي، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(ش)

- شرح الزُرْقَانِي عَلَى الْمَوَاهِبِ اللَّذْنِيَّةِ بِالْمِنْحِ الْمَحْمَدِيَّةِ؛ للقسطلاني؛ محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزُرْقَانِي، بضبط وتصحيح محمد عبدالعزیز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- شرح السُّنَّة؛ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- شُعب الإيمان؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- الشُّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ؛ أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي - بيروت، دط، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م.

(ص)

- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح)؛ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ضمن موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- صحيح ابن حَبَّان؛ (بترتيب ابن بلبان)، محمد بن حَبَّان ابن أحمد بن أبي حاتم البُستِي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- صحيح ابن خزيمة؛ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- صحيح السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - عمَّان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- صحيح مسلم؛ (المسند الصحيح)؛ أبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ضمن موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة، دار السلام - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
(ط)
- الطبقات الكبرى؛ أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري، باعتناء د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ٥، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
(ع)
- عرّف التعريف بالمولد الشريف؛ أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، عناية محمد الملقى، دار الحديث الكتّانية - المغرب، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير؛ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري الأندلسي، دار المعرفة - بيروت، دط، دت.
(ف)
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بعناية محمد فؤاد عبدالباقي ومحّب الدين الخطيب، المطبعة السلفية - القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الفتح الربّاني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني؛ أحمد عبدالرحمن البنّا (الساعاتي)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت.
(ك)
- الكامل في التاريخ؛ عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، بعناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية - عمّان، دط، دت.
(م)
- مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ؛ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، دط، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة؛ محمد حميد الله، دار النفائس - بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- مختار الصحاح؛ زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي؛ تحقيق حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة - بيروت، دط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المستدرک علی الصحیحین (وبذیلہ "التلخیص" للحافظ الذهبي) أبو عبدالله محمد بن عبدالله، المعروف بالحاكم النيسابوري، تحقيق يوسف المرعشلي، دار المعرفة - بيروت، دط، دت.
- مسند الإمام أحمد (المسند)؛ أبو عبدالله أحمد بن محمد ابن حنبل الشيباني، طبعة بيت الأفكار الدولية - الرياض، دط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- مسند الدارمي، المعروف بسنن الدارمي؛ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق حسين سليم الداراني، دارا: المغني وابن حزم - الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- مسند أبي داود الطيالسي؛ أبو داود سليمان بن داود، دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد، ط ١، دت.
- مسند عبد بن حميد؛ عبدالحميد بن حميد الكشي، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة - القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- مسند أبي يعلى الموصلي؛ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق حسين سليم الداراني، دار الثقافة العربية - بيروت، دط، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- مصنف ابن أبي شيبة؛ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة - جدة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة؛ محمد محمد شراب، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- معجم البلدان؛ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، تحقيق فريد الجندي؛ دار الكتب العلمية - بيروت، دط، دت.
 - المعجم الكبير؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مؤسسة الريان - بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
 - المغازي؛ المشتهر بـ«مغازي الواقدي» محمد بن واقد، تحقيق د. مارسدن جونسون، دار الأعلمي - بيروت، دط، دت.
 - المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، طبعة بيت الأفكار الدولية، وباعتناء فريقها - الرياض، دط، دت.
 - الموطأ؛ الإمام أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية - بيروت، دط، دت.
- (ن)
- النهاية في غريب الحديث والأثر؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق محمود الطناحي، وظاهر الزواوي، دار الفكر - بيروت، دط، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.



المحتويات

الصفحة

الموضوع

المقدمة ٩

الباب الأول

٦٧-١٣

السيرة النبوية الخاصة

الفصل الأول: بيان بعض أحوال النبي ﷺ الشخصية ٣٥-١٥

١- من أسماء النبي ﷺ ١٥

٢- كنيته ﷺ ١٥

٣- من أوصافه ﷺ ١٦

٤- نسبه ﷺ ١٨

٥- أعمام النبي ﷺ وعمّاته ٢٠

٦- أحوال النبي ﷺ ٢٠

٧- ممرضعات النبي ﷺ ٢٠

٨- أزواج النبي ﷺ ٢١

٩- أولاد النبي ﷺ ٢٧

١٠- من اشتهر من موالي النبي ﷺ (الرجال) ٢٩

١١- من اشتهر من موالي النبي ﷺ (النساء) ٢٩

١٢- بعض خدم النبي ﷺ من الأحرار ٣٠

١٣- من اشتهر من حرس النبي ﷺ ٣٠

١٤- من كُتِبَ النبي ﷺ ٣٠

- ١٥- رُسُلُ النَّبِيِّ ﷺ ٣١
- ١٦- بعضُ مركوبِ النَّبِيِّ ﷺ ولباسه، وأثائه،
- ٣٢ وأدواته، وسلاحه
- الفصل الثاني: بيان بعض دلائل نبوته ﷺ، وخصائصه، وحقوقه ٣٧-٦٧
- أ- بعض دلائل نبوته ﷺ ٣٧
- ١- المبشّرات في الكتب السابقة ٣٧
- ٢- شمائله ﷺ في تمام الخلق و كريم الخلق ٣٩
- أولاً: تمام الخلق النبويّ الطاهر ٣٩
- ثانياً: تمام الخلق النبويّ الطاهر ٤٤
- ٣- المعجزات، وخوارق العادات ٤٧
- ٤- التُّبُوءَات ٤٩
- ٥- الإعجاز العلميّ في القرآن والسُّنَّة ٥٠
- ب- بعض خصائصه ﷺ ٥٢
- ١- الخصائص النبويّة الدنيويّة ٥٢
- ٢- الخصائص النبويّة الآخرويّة ٦٠
- ج- بعض حقوق المصطفى ﷺ ٦٣

الباب الثاني

السيرة النبويّة العامّة

٦٩-٢٠٦

- الفصل الأول: السيرة المكيّة قبل البعثة ٧٣-٨٤
- ١- مولد النَّبِيِّ ﷺ ٧٣
- ٢- تسميته ﷺ، وكفالة جدّه له ٧٥
- ٣- حضانة النَّبِيِّ ﷺ، ورضاعه ٧٦

- ٤- حادثة شقّ الصدر ٧٦
- ٥- رجوعه ﷺ إلى أمّه، وكفالة جدّه، ثم عمّه ٧٦
- ٦- عمله ﷺ قبل البعثة ٧٧
- ٧- يوم الفجار، وحلف الفضول ٧٨
- ٨- الزواج المبارك الميمون ٧٩
- ٩- المشاركة في تجديد بنیان الكعبة، ووضع الحجر الأسود ٨٠
- ١٠- مقدّمات البعثة النبويّة ٨٢
- الفصل الثاني: السيرة المكيّة بعد البعثة ٨٥-١١٨
- ١- الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ٨٥
- ٢- قصة بدء الوحي ٨٥
- ٣- انقطاع الوحي لفترة، ثم تتابعه متصلاً ٨٧
- ٤- أول من آمن به ﷺ ٨٨
- ٥- الدعوة إلى الإسلام خفية ٨٩
- ٦- الصلاة قبل فرضها خمسين ليلة الإسراء ٨٩
- ٧- قريش ترصد عن بُعد أبناء الدعوة ٩٠
- ٨- الجهر بالدعوة ٩٠
- ٩- تنوُّع وسائل قريش في محاربة الدعوة ٩٢
- الأذية قولاً وفعلاً ٩٢
- محاولات للتفاوض ٩٥
- اشتداد الأذى بعد موقف أبي طالب ٩٦
- الاستعانة بيهود في التحقُّق من النبوة ٩٧
- طلبات تعجيزية ٩٧
- الصحيفة الظالمة ٩٨

- ١٠- هجرتان قبل الهجرة النبوية ١٠٠
- ١١- عام الحزن (السنة العاشرة من البعثة النبوية) ١٠٢
- ١٢- خروج أبي بكر رضي الله عنه مهاجرًا إلى الحبشة ١٠٣
- ١٣- دعوة ثقيف (أهل الطائف) ١٠٤
- ١٤- إسلام جنّ نصيبين، بعد أن أبى إنس الطائف! ١٠٥
- ١٥- مرجع النبي ﷺ من الطائف، والموقف الشجاع لمطعم بن عدي ١٠٦
- ١٦- النبي ﷺ يعرض الإسلام على قبائل العرب ١٠٧
- ١٧- الإسراء والمعراج ١٠٧
- ١٨- تعيين أوقات الصلوات الخمس ١١٣
- ١٩- موقف قريش من الإسراء والمعراج ١١٤
- ٢٠- مقدمات الهجرة النبوية ١١٥
- الفصل الثالث: الهجرة النبوية، والسيرة المدنية مرتبة بالسنوات ١١٩-٢٠٦
- أولاً: الهجرة النبوية، حتى الاستقرار في المدينة ١٢٠
- ١- الإذن للمسلمين بالهجرة ١٢٠
- ٢- تأمر قريش ١٢١
- ٣- الإذن بالهجرة للنبي ﷺ ١٢٢
- ٤- مبدأ الهجرة النبوية ١٢٢
- ٥- حادثة غار جبل ثور ١٢٤
- ٦- جائزة قريش، ومعجزة في الطريق ١٢٥
- ٧- أحسن الخدمة في أحلك الظروف ١٢٥
- ٨- الحكمة في التورية ١٢٦

- ٩- نزول النبي ﷺ وَمَنْ مَعَهُ بِخَيْمَتِي أُمَّ مَعْبَدٍ ١٢٦
- ١٠- كِسْوَةُ بِيَاضٍ مِنَ الزَّبِيرِ ١٢٧
- ١١- النَزُولُ جَانِبَ الْحَرَّةِ، وَتَأْسِيسُ مَسْجِدِ التَّقْوَى ١٢٨
- ١٢- تَشْرُفُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَزُولِ
النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ ١٣٠
- ١٣- أَبُو أَيُّوبَ يَنْحِي أَهْلَهُ جَانِبَ الْمَنْزِلِ! ١٣٠
- ثَانِيًا: السَّيْرَةُ الْمَدْنِيَّةُ (مُرْتَبَةً بِالسَّنَوَاتِ) ١٣٢
- السَّنَةُ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ ١٣٢
- حَوَادِثُ بَارِزَةٌ ١٣٢
- تَسْلُسُلُ السَّرَايَا فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ ١٣٨
- السَّنَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٣٩
- حَوَادِثُ بَارِزَةٌ ١٣٩
- تَسْلُسُلُ الْغَزَوَاتِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٤٢
- تَسْلُسُلُ السَّرَايَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٤٤
- السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٤٥
- حَوَادِثُ بَارِزَةٌ ١٤٥
- تَسْلُسُلُ الْغَزَوَاتِ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٤٦
- تَسْلُسُلُ السَّرَايَا فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٤٧
- السَّنَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٤٨
- حَوَادِثُ بَارِزَةٌ ١٤٨
- تَسْلُسُلُ الْغَزَوَاتِ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٤٩
- تَسْلُسُلُ السَّرَايَا فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ١٥٠

- السنة الخامسة من الهجرة ١٥١
- حوادث بارزة ١٥١
- تسلسل الغزوات في السنة الخامسة من الهجرة ١٦٠
- السنة السادسة من الهجرة ١٦٢
- حوادث بارزة ١٦٢
- تسلسل الغزوات في السنة السادسة من الهجرة ١٦٥
- تسلسل السرايا في السنة السادسة من الهجرة ١٦٧
- السنة السابعة من الهجرة ١٧٠
- حوادث بارزة ١٧٠
- تسلسل الغزوات في السنة السابعة من الهجرة ١٧٤
- تسلسل السرايا في السنة السابعة للهجرة ١٧٥
- السنة الثامنة من الهجرة ١٧٧
- حوادث بارزة ١٧٧
- تسلسل الغزوات في السنة الثامنة من الهجرة ١٨٣
- تسلسل السرايا في السنة الثامنة من الهجرة ١٨٥
- السنة التاسعة من الهجرة (عام الوفود) ١٨٨
- حوادث بارزة ١٨٨
- غزوة السنة التاسعة من الهجرة: تبوك (غزوة العُسرة) ١٩٠
- تسلسل السرايا في السنة التاسعة من الهجرة ١٩١
- السنة العاشرة من الهجرة ١٩٣
- حوادث بارزة ١٩٣
- تسلسل السرايا في السنة العاشرة من الهجرة ١٩٦

- ١٩٨ السنة الحادية عشرة من الهجرة
- ١٩٨ ◉ حوادث بارزة وأجلُّها: وفاة رسول الله ﷺ
- ٢٠٢ صفة غسله ﷺ
- ٢٠٣ صفة تكفينه ﷺ
- ٢٠٣ صفة الصلاة عليه ﷺ
- ٢٠٣ صفة دفنه ﷺ
- ٢٠٤ صفة قبره ﷺ
- ٢٠٤ ميراث النبي ﷺ
- ٢٠٧ خاتمة
- ٢٠٩ قائمة المصادر والمراجع
- ٢١٥ المحتويات

